المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

التوحيد

العقيدة الواسطية

لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية (رحمه الله)

السنة الأولى الثانوية
الفصل الدراسي الأول

وبهامشها شرح
للشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

طبعة ١٤٤١هـ

يوزع مجاناً

ⓒ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٥هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

العقيدة الواسطية - مقرر التوحيد للصف الأول الثانوي – الفصل الدراسي الأول . / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج . - الرياض، ١٤٣٥هـ

١٤٤ ص؛ ٢٢ × ٢٨ سم .

ردمك :٧- ٢٠٤- ٥٠٥- ٦٠٣- ٩٧٨

١ - التوحيد- كتب دراسية ٢ - التعليم الثانوي- السعودية- كتب دراسية أ. العنوان.

ديوي ٢٤٠.٧١٢ ١٤٣٥ / ٦٥٣

رقم الإيداع: ١٤٣٥ / ٦٥٣

ردمك : ٧- ٢٠٤- ٥٠٥- ٦٠٣- ٩٧٨

للتواصل مع الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

هاتف: ٠١١٢٥٨٢٢٢٢ ، فاكس: ٠١١٢٥٩٠٢٤٩

بريد إلكتروني (mnahj@imamu.edu.sa)

أو من خلال بوابة الجامعة الإلكترونية (www.imamu.edu.sa)

بسم الله الرحمن الرحيم

عن مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ:

(لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتي قَائِمَةً بأَمْرِ الله لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَو خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ).

(رواه البخاري ومسلم ، وهذا لفظ مسلم)

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فإنَّ العقيدة الصحيحة هي علم أصول الدين أو الفقه الأكبر؛ كما سمَّاها بعض العلماء بذلك؛ لأنه لا هداية ولا طمأنينة إلا بأن تعرف العباد ربها بأسمائه وصفاته وأفعاله، ويكون سعيها فيما يقرِّبُها إليه. ولذلك هي أشرف العلوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم. وهذا الأصل العظيم تفرَّق الناس في إقراره وفَهْمِه فِرَقاً شتَّى، كلُّها ضلَّت عن جادَّة الحقِّ، وانحرفت عن الصِّراط المستقيم، إلا فرقةً واحدةً؛ هي فرقة أهل السُّنة والجماعة، مِنْ أجل ذلك حرص المسؤولون في الجامعة على تدريس معتقد أهل السُّنة والجماعة في سنوات المرحلتين المتوسطة والثانوية بالمعاهد العلمية، ومِنْ ذلك ما قُرِّر على السَّنة الأولى الثانوية بواقع حصتين في الأسبوع؛ لتحقيق الأهداف التالية:

١- إيضاح معتقد أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله وصفاته وأفعاله والاستدلال على ذلك من القرآن الكريم والسُّنة الصحيحة، وبيان ما يُضادُّ العقيدة الصحيحة ، والتحذير منه.

٢- إيضاح المعتقد الصحيح في اليوم الآخر وما يجري فيه، من أجل الاستعداد لذلك اليوم.

٣- بيان ما يتضمَّنه الإيمان بالقَدَر مِنْ استقرارٍ وطمأنينةٍ ورِضاً للنفس.

٤- بيان خصائص أهل السُّنة والجماعة السُّلوكيَّة وصفاتهم؛ لتحقيق الارتباط بين السُّلوك والمعتقد.

ولتحقيق ذلك تم اختيار كتابٍ سلفيٍّ مِنْ كُتُب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية - رحمه الله - المتوفَّى سنة ٧٢٨هـ. وهو كتاب (العقيدة الواسطيَّة) في عقيدة أهل السُّنة والجماعة، ولما كان هذا الكتاب مُجْمَلاً يحتاج إلى شرحٍ يوضِّح مجمله؛ ليكون في مستوى طلاب هذه السَّنة، انتَدَبت الجامعة لهذه المهمَّة فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان. وقد راعى (وفقه الله) في شَرْحِه على هذا الكتاب ما يلي:

١- إيضاح ألفاظ المتن التي تحتاج إلى إيضاح.

٢- توضيح ما أجمله شيخ الإسلام - رحمه الله - من مذهب أهل السُّنة والجماعة بزيادة الاستدلال والتفصيل.

٣- الإشارة إلى بعض الفِرَق المخالِفة لمذهب أهل السُّنة والجماعة، وإبطالُ شُبَهِها، والردُّ عليها بالأدلَّة النقلية والعقلية.

٤- ترتيب المسائل ووضع العنوانات المناسبة لها.

٥- ذكر بعض الأقسام والأنواع التي يحتاج إليها الطالب ولم يتعرَّض لها المؤلِّف رحمه الله.

وقد تمَّ ذلك مِن الشَّارح (وفَّقه الله) بأسلوبٍ واضحٍ وعبارةٍ مختصرةٍ تناسب طلاب هذه السَّنة.

مستمِدّاً هذا الشرح مِنْ شُروحٍ أخرى لهذا الكتاب؛ منها:

١- التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطيَّة من المباحث المنيفة: للشيخ عبدالرحمن بن ناصر ابن سعدي رحمه الله.

٢- التنبيهات السَّنِيَّة على العقيدة الواسطيَّة: للشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد رحمه الله.

٣- الروضة النَّدِيَّة شرح العقيدة الواسطيَّة: للشيخ زيد بن عبدالعزيز الفيَّاض رحمه الله.

وقد قام المختصُّون - في الإدارة العامَّة لتطوير الخطط والمناهج - بإضافة أسئلةٍ إلى هذا الكتاب.

ونظراً لأهمية هذه المادَّة فعلى مدرِّسها - وفَّقه الله وأعانه - الاعتناء بما يلي:

١- بدء الدرس بمقدمةٍ وجيزةٍ يتوصَّل بها إلى الموضوع المراد تدريسه.

٢- كتابة متن الدرس على السبورة ، أو عرضه بإحدى الوسائل الحديثة، ثم قراءته أمام الطلبة، ثم يكلَّف بعض الطلبة بقراءته.

٣- العناية بشرح الدرس عنصراً بعد آخر، موضِّحاً أدلَّته ووجه الاستدلال بها، وما لها من علاقة بعقيدة التوحيد، مع مشاركة التلاميذ في ذلك وتدوين العناصر المهمَّة على السبورة.

٤- العناية بالكشف عن خصائص عقيدة أهل السُّنة والجماعة مستنداً إلى الأدلَّة من الكتاب والسُّنة، ويحسن أن يقارن بينها وبين العقائد المنحرفة ليتَّضح الحقُّ من الباطل.

٥- العناية الخاصَّة بموضوع الشاهد من الآية والحديث وإبرازه للطلبة، مع مناقشة الموضوع مناقشةً شاملةً في آخر الدرس؛ ليتأكَّد مِنْ فهمهم إياه، وإعادة خلاصة الدرس بعبارةٍ موجزةٍ.

٦- تكليف الطلاب بمراجعة الدرس الحاضر والتحضير للدرس القادم، مع متابعتهم في ذلك وتحفيزهم عليه.

ومما يحسن بالمدرِّس - وفَّقه الله - العناية به أيضاً:

أ- الاطمئنان على استيعاب الطلاب لهذه المادة وتلمُّس أسباب القصور - إن وُجِدَت - والعمل لتلافيها.

ب- المبادرة بالكتابة للإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج حول ما يجده في الكتاب من ملحوظاتٍ تستحق الاهتمام، وما يقترحه من مقترحاتٍ للرفع من كفاية الكتاب.

نسأل الله للجميع التوفيق والسَّداد. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

(هيئة كبار العلماء، في المملكة العربية السعودية)

تتكون هيئة كبار العلماء من عدد من كبار المختصين في الشريعة الإسلامية من السعوديين، يجري اختيارهم بعناية من ذوي العلم والفضل، ويجوز عند الاقتضاء إلحاق أعضاء للهيئة من غير السعوديين ممن تتوافر فيهم صفات العلماء من السلفيين.

وهي أسلوب عصري في تطبيق مبدأ الشورى، والاجتهاد الجماعي، والعمل المؤسسي المتقدم؛ لتنظيم المرجعية الدينية، من خلال مجموعة من الأعضاء المنتسبين إلى المذاهب الفقهية المعتبرة؛ لتقديم الفتوى المنضبطة لعموم المسلمين في داخل المملكة وخارجها.

وفي [المادة الخامسة والأربعين من النظام الأساسي للحكم/ الباب السادس/ سلطة الدولة]: (مصدر الإفتاء في المملكة العربية السعودية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ويبين النظام ترتيب هيئة كبار العلماء، وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، واختصاصاتها).

ويتولى رئاسة هيئة كبار العلماء: المفتي العام للمملكة العربية السعودية، حيث توالى على رئاستها كل من:

١- سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ؛ حيث كانت تسمى (إدارة الإفتاء)، منذ تأسيسها، عام: (١٣٧٤هـ)، حتى وفاته رحمه الله عام: (١٣٨٩هـ).

٢- ثم تولاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، واستمر حتى صدور الأمر الملكي بإنشاء (هيئة كبار العلماء) عام: (١٣٩١هـ)، حتى وفاته رحمه الله عام: (١٤٢٠هـ).

٣- ثم تولاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ، حتى الآن، أطال الله في عمره.

وهي هيئة علمية تابعة (للرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء)، تجتمع بشكل دوري، وتتلخص مهامها في النقاط الآتية:

١ - إبداء الرأي فيما يحال إليها من ولي الأمر من أجل بحثه وتكوين الرأي المستند إلى الأدلة الشرعية فيه.

٢-التوصية في القضايا الدينية المتعلقة بتقرير أحكام عامة ليسترشد بها ولي الأمر وذلك بناءً على بحوث يجري تهيئتها وإعدادها.

٣-لدى بحث الهيئة المسائل المتعلقة بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية والأنظمة العامة، فإنها تشرك في البحث معها واحداً أو أكثر من المتخصصين في تلك العلوم.

٤-يتفرع عن الهيئة (اللجنة الدائمة للفتوى)، يتم اختيار أعضائها من الهيئة.

وتتلخص مهام اللجنة الدائمة للفتوى في النقاط الآتية:

أ- إحالة المواضيع العامة إلى هيئة كبار العلماء لدراستها.

ب- الإجابة عن أسئلة المستفتين في شؤون العقائد.

ج- الإجابة عن أسئلة المستفتين في شؤون العبادات.

د- الإجابة عن أسئلة المستفتين في شؤون المعاملات الخاصة.

هـ - أي أعمال ومهام أخرى تُكلَّف بها في مجال اختصاصها.

ولا تصدر الفتاوى عن اللجنة الدائمة إلا إذا أجمع عليها الأعضاء، أو وافقت عليها الأغلبية المطلقة منهم.

ومن أبرز خصائص هيئة كبار العلماء ومميزاتها ما يلي:

١-التمسك بالكتاب والسُّنة، والاستناد إلى الأدلة الشرعية المعتمَدة، حسب منهج السَّلف الصالح؛ من أصحاب النبي ﷺ، ومَن تبعهم من الأئمة المهديين.

٢-دراسة جميع الموضوعات المطروحة بحياديةٍ تامةٍ، وعدلٍ كاملٍ، بعيداً عن أي تأثيرات جانبية، مع النظر بعين الاعتبار إلى جميع الحيثيات المعتبرة، والمصالح المقدَّمة عند الترجيح أو التوصية.

٣-اعتماد ما أمر الله به من الاعتدال والوسطية، وتجنب التطرف والغلو؛ عند دراسة أي قضية، وعند إصدار أي فتوى أو توصية.

٤-يتميز أعضاء الهيئة بالعلم الواسع، والإخلاص، والفهم العميق، والحكمة، والحلم، والصدق؛ وهذه أهم صفات المفتي والناظر في مصالح الناس ومسائلهم الشرعية.

٥-جميع أعضاء الهيئة من العلماء العاملين، المعروفين بين الناس بالعبادة والعمل الصالح، وهذه صفة العالم الرباني؛ الذي جمع بين العلم والعمل.

٦-أنهم يمثلون مصدر نظام الدولة، المبني على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، حسبما ورد سابقاً في النظام الأساسي للحكم.

٧-تتركز جهودهم على حفظ الشريعة الإسلامية، ونشرها، ورفع الجهل عن الناس، والنصح لهم، وتغليب المصالح ودفع أشد المفسدتين؛ حسب القواعد الشرعية.

٨-اعتماد الحكمة؛ في الاضطلاع بالقضايا الكبيرة للدولة وللأمة الإسلامية، والترفّع عن صغائر الأمور، والإعراض عنها.

ولما كانت هذه الهيئة ومنسوبوها بهذه المنزلة الرفيعة؛ فيجب على طلبة العلم توقيرهم واحترامهم؛ لأنَّ مِن إجلال الله وتعظيم شريعته، محبة علماء الشريعة الربانيين، ومعرفة قدْرهم، وحفظ مكانتهم، والذبّ عن أعراضهم، والانتصار لهم ممن بغى عليهم؛ لمساهمتهم في قيادة الأمة إلى طريق النجاة، وسبيل السلام، وتحصينها من الجهل والضلال والباطل.

توزيع مقرر الفصل الدراسي الأول

الأسبوع	الموضوعات	الملحوظات
الأول / / ١٤هـ	من أول الكتاب، من قوله:(بسم الله الرحمن الرحيم)، حتى نهاية الركن السادس من أركان الإيمان، بقوله: (وسيأتي إن شاء الله شرحها مفصَّلاً) .	
الثاني / / ١٤هـ	من قول المؤلف: (ومِن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ...)، حتى نهاية شرح قوله في المتن (أصدق قيلاً وأحسن حديثاً مِنْ خَلْقِه) .	
الثالث / / ١٤هـ	من قوله: (ثم رسله صادقون مصدوقون)، حتى نهاية (الفصل الأول: الجمع بين النفي والإثبات في وصفه تعالى) .	واجب منزلي
الرابع / / ١٤هـ	من أول (الفصل الثاني: الجمع بين علوِّه، وقربه، وأزليَّته، وأبديَّته)، حتى نهاية (الفصل الرابع: إثبات السمع والبصر لله ﷻ) .	
الخامس / / ١٤هـ	من أول (الفصل الخامس: إثبات المشيئة والإرادة لله ﷻ)، حتى نهاية (الفصل السابع: اتِّصافه بالرحمة والمغفرة ﷻ) .	
السادس / / ١٤هـ	من أول (الفصل الثامن: ذِكر رضا الله، وغضبه، وسخطه، وكراهيته...) ،حتى نهاية (الفصل التاسع: ذِكر مجيء الله ﷻ لفصل القضاء...)،مع مراجعة ما سبق.	واجب منزلي
السابع / / ١٤هـ	من أول (الفصل العاشر: إثبات الوجه لله ﷻ)، حتى نهاية (الفصل الثالث عشر: إثبات السمع والبصر لله ﷻ) .	
الثامن / / ١٤هـ	من أول (الفصل الرابع عشر: إثبات المكر والكيد لله ﷻ)، حتى نهاية (الفصل السابع عشر: نفي الشَّريك عن الله ﷻ) .	
التاسع / / ١٤هـ	من أول (الفصل الثامن عشر : إثبات استواء الله ﷻ على عرشه)، حتى نهاية (الفصل التاسع عشر: إثبات علو الله ﷻ على خلقه) .	واجب منزلي
العاشر / / ١٤هـ	من أول (الفصل العشرون: إثبات معيَّة الله لخلقه)، حتى نهاية (الفصل الحادي والعشرون: إثبات الكلام لله ﷻ) .	

الأسبوع	الموضوعات	الملحوظات
الحادي عشر / / ١٤هـ	من(الفصل الثاني والعشرون: إثبات تنزيل القرآن من الله ﷻ)، حتى نهاية (الفصل الثالث والعشرون: إثبات رؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة) .	
الثاني عشر / / ١٤هـ	مراجعة لما سبق، مع شرح أول(الباب الثاني: الاستدلال من- السُّنة- على إثبات أسماء الله ﷻ وصفاته)، حتى نهاية (الفصل الثاني: أحاديث إثبات أنَّ الله ﷻ يفرح ويضحك) .	واجب منزلي
الثالث عشر / / ١٤هـ	من أول (الفصل الثالث: أحاديث إثبات أنَّ الله ﷻ يعجب، ويضحك)، حتى نهاية (الفصل السادس: أحاديث إثبات علو الله ﷻ على خلقه، واستوائه على عرشه) .	
الرابع عشر / / ١٤هـ	من أول (الفصل السابع: أحاديث إثبات معيَّة الله ﷻ لخلقه ...)، حتى نهاية (الفصل الثامن: أحاديث رؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة) .	
الخامس عشر / / ١٤هـ	مراجعة.	

قال الشيخ رحمه الله:

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدأ المصنِّف – رحمه الله – كتابه بالبسملة: اقتداءً بالكتاب العزيز حيث جاءت البسملة في ابتداء كل سورة عدا سورة براءة ، واقتداءً بالنبي ﷺ حيث كان يبدأ بها في مكاتباته.

وقوله: (**بسم الله**) الباء للاستعانة، والاسم في **اللغة**: ما دل على مسمى.

وفي الاصطلاح: ما دل على معنى في نفسه ولم يقترن بزمان، والجار والمجرور متعلق بمحذوف ينبغي أن يُقدَّر متأخرًا؛ ليفيد الحصر.

(الله): عَلَم على الذات المقدَّسة ومعناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، مشتق من أَلَهَ يَأله ألوهة بمعنى: عُبد يُعبد عبادة. فالله إله بمعنى مألوه أي: معبود.

(الرحمن الرحيم) اسمان كريمان من أسمائه الحسنى دالَّان على اتِّصافه – سبحانه وتعالى – بالرحمة على ما يليق بجلاله؛ فالرحمن: ذو الرحمة العامة لجميع المخلوقات، والرحيم: ذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب٤٣] .

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدَى ودين الحقِّ؛ ليُظهِره على الدِّين كلِّه وكفى بالله شهيدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقرارًا به وتوحيداً. وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلَّم تسليماً مَزِيداً.

افتتح هذه الرسالة الجليلة بهذه الخطبة المشتملة على حمد الله والشهادتين والصلاة والسلام على رسوله؛ تأسّياً بالرسول ﷺ في أحاديثه وخطبه. وعملاً بقوله ﷺ: **"كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع"** رواه أبو داود وغيره. ويُروَى: **"بسم الله الرحمن الرحيم"** ومعنى أقطع أي: معدوم البركة. ويُجمع بين الروايتين للحديث بأنَّ الابتداء ببسم الله حقيقيٌّ وبالحمد لله نسبيٌّ إضافيٌّ.

قوله: (الحمد لله) الألف واللام للاستغراق - أي: جميع المحامد لله مُلْكًا واستحقاقًا - والحمد **لغةً**: الثناء بالصفات الجميلة والأفعال الحسنة. **وعُرفاً**: فعلٌ يُنبئ عن تعظيم المنعِم بسبب كونه منعماً وهو ضد الذم.

وقوله: (الذي أرسل رسوله) الله - سبحانه - يُحمد على نعمه التي لا تُحصى، ومن أجَلِّ هذه النِّعم أن بعث رسوله محمداً ﷺ بالهدَى ودين الحقِّ.

والرسول لغةً: مَن بُعث برسالة، **وشَرعاً:** هو إنسانٌ ذَكَرٌ أُوحِيَ إليه بشرعٍ وأُمِرَ بتبليغه.

(بالهدَى) أي: العلم النافع؛ وهو: كلُّ ما جاء به النبي ﷺ مِن الإخبارات الصادقة، والأوامر والنواهي، وسائر الشَّرائع النافعة.

و الهدَى نوعان:

النوع الأول: هدَى بمعنى: الدلالة والبيان. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾. [فصلت: ١٧] .

وهذا يقوم به الرسول ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] .

النوع الثاني: هدَى بمعنى: التوفيق والإلهام. وهذا هو المنفي عن الرسول ﷺ، ولا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ﴾[القصص:٥٦] .

قوله: (ودين الحقِّ) هو: العمل الصالح.

والدِّين يُطلَق ويُراد به: الجزاء؛ كقوله تعالى:﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ .

ويُطلَق ويُراد به: الخضوع والانقياد، وإضافة الدين إلى الحق من إضافة الموصوف إلى صفته؛ أي: الدين الحق.

والحق: مصدر حقَّ يحق؛ بمعنى ثبت ووجب، وضِدُّه: الباطل.

وقوله: (ليُظهِره على الدِّين كله) أي: ليُعلي الهدَى ودين الحقِّ على جميع الأديان بالحُجَّة والبيان والجهاد، حتى يظهر على مخالفيه مِنْ أهل الأرض؛ مِنْ عرب وعجم؛ مِلِّيِّين ومشركين. وقد وقع ذلك، فإنَّ المسلمين جاهدوا في الله حقَّ جهاده حتى اتَّسعت رقعة البلاد الإسلامية وانتشر هذا الدِّين في المشارق والمغارب.

وقوله: (وكفى بالله شهيداً) أي: شاهدًا أنه رسوله، ومُطَّلع على جميع أفعاله، وناصره على أعدائه.

وفي ذلك دلالةٌ قاطعةٌ على صِدق هذا الرسول ﷺ، إذ لو كان مفترياً لعاجَلَه الله بالعقوبة؛ كما قال تعالى:﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴾[الحاقة: ٤٤،٤٦] .

وقوله: (وأشهد أن لا إله إلا الله) أي: أُقِرُّ وأعترِف أن لا معبود بحقٍّ إلا الله.

وقوله: (وحده لا شريك له): في هاتين الكلمتين تأكيدٌ لما تضمَّنته شهادة أن لا إله إلا الله من النفي والإثبات؛ نفي الإلهية عما سِوَى الله، وإثباتها لله سبحانه وتعالى .

فقوله: (وحده) تأكيدٌ للإثبات.

وقوله: (لا شريك له) تأكيدٌ للنفي.

قوله: (إقراراً به وتوحيداً) هما: مصدران مؤكِدان لمعنى جملة (وأشهد أن لا إله إلا الله... إلخ). وإقراراً؛ أي: إقراراً باللسان. وتوحيداً؛ أي: إخلاصاً في كلِّ عبادةٍ: قوليَّةٍ أو فعليَّةٍ أو اعتقاديَّةٍ.

وقوله: (وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله) أي: أُقِرُّ بلساني وأعتقد بقلبي أنَّ الله- سبحانه وتعالى- أرسل عبده محمداً ﷺ إلى الناس كافةً؛ لأن الشَّهادة لهذا الرسول بالرسالة مقرونةٌ بالشهادة لله بالتوحيد ولا تكفي إحداهما عن الأخرى.

وفي قوله: (عبده ورسوله): الردُّ على أهل الإفراط والتفريط في حقِّ الرسول ﷺ، فأهل الإفراط غَلَوا في حقِّه ورفعوه فوق منزلة العبودية ، وأهل التفريط قد نبذوا ما جاء به وراء ظهورهم كأنه غير رسول.

فشهادة أنه عبدُ الله تنفي الغلوَّ فيه ورَفْعَه فوق منزلته، وشهادة أنه رسولُ الله تقتضي الإيمان به وطاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه، واتِّباعه فيما شَرَع.

وقوله: (صلى الله عليه). الصَّلاة لغةً: الدعاء - وأصحُّ ما قيل في معنى الصَّلاة مِن الله على الرسول ﷺ ما ذكره البخاري في « صحيحه » عن أبي العالية قال: وصلاة الله على رسوله ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

قوله: (وعلى آله): آل الشخص: مَنْ ينتمون إليه بِصِلَةٍ وثيقةٍ مِنْ قرابةٍ ونحوها.

وأحسن ما قيل في المراد بآل الرسول ﷺ هنا أنهم: أتْباعُه على دينه.

قوله: (وأصحابه): جمع صاحب. مِنْ عَطْف الخاص على العام.

والصحابي هو: مَنْ لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على ذلك.

قوله: (وسلَّم تسليمًا) السَّلام: بمعنى التحيَّة، أو السَّلامة من النقائص والرذائل.

وقوله: (مَزِيداً) اسم مفعولٍ مِن الزيادة؛ وهي: النمو.

وجَمَع بين الصَّلاة والسَّلام؛ امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

أما بعد: فهذا اعتقاد الفِرقة الناجية المنصورة إلى قيام السَّاعة؛ أهلِ السُّنة والجماعة.

قوله: (أما بعد) هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوبٍ إلى أسلوبٍ آخر. ومعناها: مهما يكن من شيءٍ. ويُستحب الإتيان بها في الخُطَب والمكاتبات؛ اقتداءً بالنبي ﷺ حيث كان يفعل ذلك.

وقوله: (فهذا) إشارةٌ إلى ما تضمَّنته هذه الرسالة واحتوت عليه من العقائد الإيمانية التي أجملها بقوله: **(وهو الإيمان بالله... إلخ)**.

وقوله: (اعتقاد) مصدر اعتقد كذا؛ إذا اتَّخذه عقيدةً. والعقيدة: هي ما يعقد عليه المرء قلبه. تقول: اعتقدت كذا أي: عقدت عليه القلب والضمير.

وأصله مأخوذٌ مِنْ عَقَدَ الحبل إذا رَبَطَه. ثم استُعمِل في عقيدة القلب وتصميمه الجازم.

وقوله: (الفِرقة) أي: الطائفة والجماعة.

وقوله: (الناجية) أي: التي سَلِمَتْ من الهلاك والشرور في الدنيا والآخرة وحَصَلَت على السَّعادة. وهذا الوصف مأخوذٌ مِنْ قوله ﷺ: **"لا تزال طائفةٌ مِنْ أمتي على الحقِّ منصورةً لا يضرُّهم مَنْ خَذَلهم حتى يأتي أمر الله"** رواه البخاري ومسلم.

وقوله: (المنصورة) أي: المؤيَّدة على مَنْ خالفها.

قوله: (إلى قيام السَّاعة) أي: مجيء ساعة موتهم؛ بمجيء الريح التي تقبض روح كلِّ مؤمنٍ. فهذه هي السَّاعة في حقِّ المؤمنين، وأما السَّاعة التي يكون بها انتهاء الدنيا فهي لا تقوم إلا على شرار الناس؛ لما في صحيح مسلم: **"لا تقوم السَّاعة حتى لا يقال في الأرض الله الله"**. وروى الإمام الحاكم من حديث عبدالله بن عمرو- رضي الله عنهما -؛ وفيه **"ويَبعث الله ريحاً ريحُها ريحُ المسك ،ومَسُّها مَسُّ الحرير، فلا تترك أحدًا في قلبه مثقال ذرةٍ مِنْ إيمانٍ إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم السَّاعة"** ورواه مسلم.

قوله: (أهلِ السُّنة): أهلِ - بالكسر- على أنه بدلٌ مِن الفِرقة، ويجوز الرفع؛ على أنه خبرٌ لمبتدأ محذوفٍ تقديره (هم) .

والسُّنة هي: الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ مِنْ أقواله وأفعاله وتقريراته.

وسُمُّوا أهل السُّنة لا نتسابهم لسنة الرسول ﷺ دون غيرها مِن المقالات والمذاهب.

بخلاف أهل البِدَع فإنهم يُنْسَبُون إلى بِدَعِهم وضلالاتهم؛ كالقدرية والمرجئة، وتارةً يُنْسَبُون إلى إمامهم؛ كالجهمية، وتارةً يُنْسَبُون إلى أفعالهم القبيحة؛ كالرافضة والخوارج.

وقوله: (والجماعة) لغةً: الفِرقة المجتمعة مِن الناس. **والمراد بهم هنا:** الذين اجتمعوا على الحقِّ الثابت بالكتاب والسُّنة، وهم: الصحابة والتابعون لهم بإحسانٍ ولو كانوا قِلَّة.

كما قال ابن مسعود رضي الله عنه : الجماعة: ما وافق الحقَّ وإن كنتَ وحدك؛ فإنك أنت الجماعة حينئذٍ.

وهو الإيمان بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

قوله: (وهو) أي: اعتقاد الفرقة الناجية .

قوله: (الإيمان) الإيمان لغةً: التصديق. قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾[يوسف:١٧].

بمؤمنٍ أي: مصدِّقٍ.

والإيمان شَرعاً: قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح.

قوله: (بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره) هذه هي أركان الإيمان الستة؛ التي لا يصحُّ إيمان أحدٍ إلا إذا آمن بها جميعاً على الوجه الصحيح الذي دَلَّ عليه الكتاب والسُّنة. **وهذه الأركان هي:**

١ – الإيمان بالله:

وهو الاعتقاد الجازم بأنه ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه، وأنه متَّصفٌ بصفات الكمال، مُنزَّهٌ عن كلِّ عيبٍ ونقصٍ، وأنه المستحِقُّ للعبادة وحده لا شريك له. والقيام بذلك عِلماً وعَملاً.

٢ – الإيمان بالملائكة:

وهو التصديق بوجودهم، وأنهم كما وَصَفَهم الله– سبحانه وتعالى– في كتابه: ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنبياء:٢٧] .

وقد دلَّ الكتاب والسُّنة على: أصناف الملائكة، وأوصافهم؛ وأنهم موكَّلون بأعمالٍ يؤدُّونها كما أمرهم الله– سبحانه وتعالى – فيجب الإيمان بذلك كلِّه.

٣ – الإيمان بالكتب:

وهو التصديق بالكتب التي أنزلها الله على رسله، وأنها كلامه، وأنها حقٌّ ونورٌ وهُدًى. فيجب الإيمان بما سمَّى الله منها؛ كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن، والإيمان بما لم يُسَمِّ الله منها.

٤ – الإيمان بالرسل الذين أرسلهم الله– سبحانه وتعالى– إلى خلقه:

وهو التصديق بهم جميعاً، وأنهم صادقون فيما أخبروا به، وأنهم بلَّغوا رسالات ربهم، لا نُفرِّق بين أحدٍ منهم بل نؤمن بهم جميعاً: مَنْ سَمَّى الله منهم في كتابه، ومَنْ لم يُسَمِّ منهم، كما قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء:١٦٤] .

أفضل الرسل:

وأفضلهم أولوا العزم، وهم: نوحٌ، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمدٌ– عليهم الصَّلاة والسَّلام–، ثم بقيَّة الرسل، ثم الأنبياء. وأفضل الجميع: خاتمُ الرسل؛ نبينا محمدٌ ﷺ.

وأصحُّ ما قيل في الفرق بين النبي والرسول؛ أنَّ النبي: مَنْ أوحِيَ إليه بشرعٍ ولم يؤمَر بتبليغه، والرسول: مَنْ أوحِيَ إليه بشرعٍ وأُمِرَ بتبليغه.

٥ – الإيمان بالبعث:

وهو التصديق بإخراج الموتى مِنْ قبورهم أحياءً يوم القيامة لفصل القضاء بينهم، ومجازاتهم بأعمالهم على الصفة التي بيَّنها الله– سبحانه وتعالى– في كتابه، وبيَّنها الرسول ﷺ في سنته.

٦ – الإيمان بالقَدَر خيره وشره:

وهو التصديق بأنَّ الله سبحانه عَلِمَ مقادير الأشياء، وأزمانها قبل وجودها، ثم كتبها في اللوح المحفوظ، ثم أوجدها بِقُدرته ومشيئته في مواعيدها المقدَّرة. فكلُّ مُحدَثٍ مِنْ خَيرٍ أو شَرٍّ فهو صادرٌ عن عِلمه وتقديره ومشيئته وإرادته، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

هذا شرحٌ مجمَلٌ لأصول الإيمان، وسيأتي – إن شاء الله – شرحها مفصَّلاً.

ومن الإيمان بالله:

الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، ووصفه به رسوله محمدٌ ﷺ، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ.

مناسبة هذا الموضوع لما قبله:

بعد ما ذكر المصنف- رحمه الله- الأصول التي يجب الإيمان بها مجمَلةً شَرَعَ يذكرها على سبيل التفصيل. وبدأ بالأصل الأول؛ وهو: الإيمان بالله- تعالى-، فذكر أنه يدخل فيه الإيمان بصفاته التي وصف نفسه بها في كتابه، أو وصفه بها رسوله ﷺ في سنته. وذلك بأن نُثْبِتها له كما جاءت في الكتاب والسُّنة بألفاظها ومعانيها. من غير تحريفٍ لألفاظها، ولا تعطيلٍ لمعانيها، ولا تشبيهٍ لها بصفات المخلوقين. وأن نعتمد في إثباتها على الكتاب والسُّنة فقط، لا نتجاوز القرآن والحديث؛ لأنها توقيفية.

قوله: (من غير تحريفٍ) التحريف هو: التغيير وإمالة الشيء عن وجهه. يقال انحرف عن كذا، إذا مال.

والتحريف نوعان:

النوع الأول: تحريف اللفظ؛ وهو: العدول به عن جهته إلى غيرها، إما بزيادة كلمةٍ، أو حرفٍ، أو نقصانه، أو تغيير حرَكةٍ؛ كقول أهل الضَّلال في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[الفجر:٢٢]. أي: أَمْرُ ربِك، فزادوا كلمة.

وكقولهم في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[النساء:١٦٤] . بنصب لفظ الجلالة. فغيَّروا الحركة الإعرابية من الرفع إلى النصب .

وكقولهم في قوله تعالى:﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] . استولى. فزادوا في الآية حرفاً.

النوع الثاني: تحريف المعنى؛ وهو: العدول به عن وجهه وحقيقته، وإعطاء اللفظ معنى لفظٍ آخر؛ كقول المبتدعة: إنَّ معنى الرحمة: إرادة الإنعام. وإنَّ معنى الغضب: إرادة الانتقام.

قوله: (ولا تعطيل) التعطيل **لغةً:** الإخلاء. يقال: عطَّله أي: أخلاه. **والمراد به هنا:** نفي الصفات عن الله سبحانه وتعالى .

والفرق بين التحريف والتعطيل:

أنَّ التحريف هو: نفي المعنى الصحيح الذي دلَّت عليه النصوص واستبداله بمعنىً آخر غير صحيح.

والتعطيل هو: نفي المعنى الصحيح من غير استبدالٍ له بمعنىً آخر؛ كفعل المفوِّضة فكلُّ محرِّفٍ معطِّلٌ وليس كلُّ معطِّلٍ محرِّفاً.

قوله: **(من غير تكييفٍ)** **التكييف هو:** تعيين كيفية الصفة، يقال: كيَّف الشيء إذا جعل له كيفيةً معلومةً، فتكييف صفات الله- تعالى- هو تعيين كيفيتها والهيئة التي تكون عليها، وهذا لا يمكن للبشر؛ لأنه مما استأثر الله- تعالى- بعلمه فلا سبيل إلى الوصول إليه؛ لأنَّ الصفة تابعةٌ للذَّات. فكما أنَّ ذات الله-تعالى- لا يمكن للبشر معرفة كيفيتها ، فكذلك صفته- سبحانه- لا تُعْلَم كيفيتُها.

ولهذا لما سُئِلَ الإمام مالكٌ- رحمه الله- فقيل له: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥] . **كيف استوى ؟** فقال: « الاستواء معلومٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعةٌ » . وهذا يقال في سائر الصفات.

قوله: (ولا تمثيلٍ) التمثيل هو: التشبيه؛ بأن يقال: إنَّ صفات الله- تعالى- مِثلُ صفات المخلوقين، كأن يقال: يدُ الله- سبحانه وتعالى- كأيدينا، وسَمْعُه كسمعِنا، تعالى الله عن ذلك. قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

فلا يقال في صفاته إنها مِثلُ صفاتنا أو شِبهُ صفاتنا أو كصفاتنا.

كما لا يقال: إنَّ ذات الله مِثلُ أو شِبهُ ذواتنا.

فالمؤمن الموحِّد: يُثبت الصفات كلَّها على الوجه اللائق بعظمة الله – تعالى – وكبريائه.

والمعطِّل: ينفيها أو ينفي بعضها.

والمشبِّه الممثِّل: يُثبتها على وجهٍ لا يليق بالله- تعالى -، وإنما يليق بالمخلوق.

بل يؤمنون بأنَّ الله سبحانه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه.

مناسبة هذا الموضوع لما قبله:

لما ذكر المصنف- رحمه الله- أنَّ الواجب هو الإيمان بصفات الله الثابتة في الكتاب والسُّنة، من غير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ ولا تمثيلٍ، بَيَّنَ هنا موقف أهل السُّنة والجماعة من ذلك، وهو: أنهم يؤمنون بتلك الصفات على هذا المنهج المستقيم فيُثبتونها على حقيقتها نافين عنها التمثيل، فلا يعطِّلون ولا يمثِّلون؛ على وِفق ما جاء في قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ ردٌّ على الممثِّلة.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ ردٌّ على المعطِّلة؛ لأن فيه إثبات السمع والبصر.

فالآية الكريمة أصلٌ واضحٌ في باب الأسماء والصفات؛ لأنها جَمعَت بين إثبات الصفات لله ونفي التمثيل عنها. وسيأتي تفسيرها إن شاء الله في موضوع إثبات السمع والبصر لله سبحانه وتعالى.

وقوله: (فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه) أي: لا يَحْمِل أهل السُّنة والجماعة إيمانَهم بأنَّ الله ليس كمثله شيءٌ على: أن ينفوا عنه ما وصف به نفسه؛ كما يفعل ذلك الذين غَلَوا في التنزيه حتى عطَّلوه من صفاته بحجَّة الفرار من التمثيل بصفات المخلوقين.

فأهل السُّنة يقولون: لله- سبحانه- صفاتٌ تخصُّه وتليق به، وللمخلوقين صفاتٌ تخصُّهم وتليق بهم، ولا تَشابُه بين صفات الخالق وصفات المخلوق. فلا يلزم هذا المحذور الذي ذكرتم أيها المعطِّلة.

وقوله: (ولا يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه) .

أي: لا يُغيِّرون كلام الله- سبحانه تعالى- فيبدِّلون ألفاظه أو يغيِّرون معانيه فيفسِّرونه بغير تفسيره: كما يفعل المعطِّلة الذين يقولون في: ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] استولى، وفي: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] جاء أمر ربك. ويفسِّرون « رحمة الله » بإرادة الإنعام ونحو ذلك؛ كما تقدَّم بيانه.

ولا يُلحِدون في أسماء الله وآياته، ولا يُكيِّفون، ولا يُمثِّلون صفاته بصفات خلقه .

قوله: (ولا يُلحِدون في أسماء الله وآياته):

الإلحاد لغةً: الميل والعدول عن الشيء.

ومنه اللَّحد في القبر، سُمِّيَ بذلك؛ لميله وانحرافه عن سَمْتِ الحَفْر إلى جهة القبلة.

والإلحاد في أسماء الله وآياته هو: العدول والميل بها عن حقائقها ومعانيها الصحيحة إلى الباطل.

والإلحاد في أسماء الله- تعالى- وصفاته خمسة أنواع، هي :

النوع الأول: أن تُسَمَّى الأصنام بها؛ كتسمية اللات من الإله، والعُزَّى من العزيز، ومَنَاة من المنَّان.

النوع الثاني: تسميتُه- سبحانه وتعالى- بما لا يليق به؛ كتسمية النصارى له أباً، وتسمية الفلاسفة له موجِباً أو علَّةً فاعلةً.

النوع الثالث : وصْفُه - سبحانه وتعالى - بما يُنزَّه عنه من النقائص؛ كقول اليهود الذين قالوا : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾[آل عمران: ١٨١] ، وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾[المائدة: ٦٤] - كما حكى الله ذلك عنهم - وقولهم: إنه استراح يوم السبت. تعالى الله عما يقولون.

النوع الرابع: جَحْدُ معانيها وحقائقها؛ كقول الجهمية: إنها ألفاظٌ مجرَّدةٌ لا تتضمَّن صفاتٍ ولا معاني؛ فالسميع لا يدلُّ على سمعٍ، والبصير لا يدلُّ على بصرٍ، والحيُّ لا يدلُّ على حياةٍ، ونحو ذلك.

النوع الخامس: تشبيه صفاته بصفات خلقه؛ كقول الممثِّل: يدُه كيَدِي، إلى غير ذلك، تعالى الله علواً كبيراً.

وقد توعَّد الله-تعالى- الملحدين في أسمائه وآياته بأشدِّ الوعيد؛ فقال- سبحانه-: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

وقال- سبحانه -:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ﴾ [فصلت:٤٠] .

لأنه – سبحانه– لا سَمِيَّ له، ولا كفؤ له، ولا نِدَّ له، ولا يقاس بخلقه– سبحانه وتعالى– ؛ فإنه– سبحانه– أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثًا مِنْ خلقه.

قوله: (لأنه– سبحانه– لا سَمِيَّ له): هذا تعليلٌ لما سبق مِنْ قوله عن أهل السُّنة: **(ولا يكيِّفون ولا يمثِّلون صفاته بصفات خلقه).**

و(سبحانه) سُبحان: مصدر؛ مثل غُفران من التسبيح، وهو: التنزيه.

(لا سَمِيَّ لـه) أي: لا نظير لـه يستحق مثل اسمه؛ كقولـه تعالى:﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾[مريم:٦٥].

استفهامٌ معناه النفي، أي: لا أحد يساميه أو يماثله.

قوله: **(ولا كفؤ له)**: الكفؤ: هو المكافىء المماثل؛ أي: لا مِثل له؛ كقوله تعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[الإخلاص: ٤]..

قوله: (ولا نِدَّ له) النِدُّ هو: الشبيه والنظير.قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة: ٢٢] .

قوله: (ولا يقاس بخلقه) القياس في اللغة: التمثيل، أي: لا يُشَبَّه ولا يُمَثَّل بهم.

قال– سبحانه–: ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [النحل: ٧٤] .

فلا يقاس– سبحانه– بخلقه لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله. وكيف يقاس الخالق الكامل بالمخلوق الناقص؟! تعالى الله عن ذلك.

قوله: (فإنه– سبحانه– أعلم بنفسه وبغيره):

وهذا تعليلٌ لما سبق من وجوب إثبات ما أثبته– سبحانه– لنفسه من الصفات، ومَنْعِ قياسه بخلقه؛ فإنه إذا كان أعلم بنفسه وبغيره وجب أن يُثْبَتَ له من الصفات ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ.

والخلق لا يحيطون به علماً، فهو الموصوف بصفات الكمال التي لا تبلغها عقول المخلوقين. فيجب علينا أن نرضى بما رضيه لنفسه؛ فهو أعلم بما يليق به ونحن لا نعلم ذلك.

قوله: (وأصدق قيلاً، وأحسن حديثًا من خلقه): فما أخبر به فهو صِدقٌ وحقٌّ يجب علينا أن نصدِّقه ولا نعارضه، وألفاظه أحسن الألفاظ وأفصحها وأوضحها.

وقد بيَّن ما يليق به من الأسماء والصفات أتمَّ بيانٍ، فيجب قبول ذلك والتسليم له.

ثم رسله صادِقون مصدوقون بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون.

قوله: (ثم رسله صادِقون مصدوقون): هذا عطفٌ على قوله: **(فإنه أعلم بنفسه.. .إلخ)**

الصدق: مطابقة الخبر للواقع؛ أي: صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى.

(مصدوقون) أي: فيما يأتيهم من الوحي بواسطة الملائكة؛ لأنه من عند الله؛ فهم لا ينطقون عن الهوى.

وهذا توثيقٌ لسَنَد الرسل- عليهم الصلاة والسلام-، فقد قيل لهم الحقُّ، وبلَّغوه للخلق، فيجب قبول ما وصفوا الله به.

فهم **(بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون)** أي: بخلاف الذين يقولون على الله بِلا عِلْمٍ في شرعه ودينه وفي أسمائه وصفاته، بل بمجرد ظُنونِهم وتَخيُّلاتِهم، أو بما يتلقَّونه عن الشياطين؛ كالمتنبئين الكَذَبَة والمبتدعة والزنادقة والسحرة والكُهَّان والمنجِّمين وعُلماء السُّوء؛ كما قال تعالى:

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾

[الشعراء:٢٢٣].

وقوله- تعالى-: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾[البقرة: ٧٩] .

خلاصة ما تَقدَّم :

أنه إذا كان الله- سبحانه وتعالى- أعلم بنفسه وبغيره، وكان أصدق قولاً وأحسن حديثاً مِنْ خلقه، وكان رسله- عليهم الصلاة والسلام- صادقين في كل ما يُخبِرون به عنه، والواسطة بينهم وبين الله التي تأتيهم بالوحي من عنده واسطةٌ صادقةٌ؛ مِن ملائكته الكرام، وجب التعويل إذاً على ما قاله الله ورسله لا سِيَّما في باب الأسماء والصفات نفيًا وإثباتًا، ورَفْضُ ما قاله المبتدعة والضُّلَّال ممن يَدَّعِي المجاز في الأسماء والصفات وينفيها بشتى وسائل النفي مُعْرِضِينَ عما جاءت به الرسل.

معتمدين على أهوائهم أو مقلِّدين لمن لا يصلح للقدوة من الضُّلَّال.

ولهذا قال: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[الصافات:١٨٠-١٨٢] .

فسَبَّحَ نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل، وسلَّم على المرسلين؛ لسلامة ما قالوه من النقص والعيب.

قوله: (ولهذا): تعليلٌ لما سبق من كون كلام الله- سبحانه وتعالى- وكلام رسله أصدق وأحسن.

المفردات :

الكلمة	معناها
سبحان	اسمُ مصدرٍ من التسبيح؛ وهو: التنزيه.
ربك	الرب هو: المالك السيِّد المربِّي لخلقه بنعمه.
العِزَّة	القوَّة والغَلَبة والمنَعَة. وإضافة الرَّب إلى العِزَّة من إضافة الموصوف إلى الصفة.
يصفون	أي: يصفه به المخالفون للرسل؛ مما لا يليق بجلاله.
وسلامٌ	قيل هو: من السلام بمعنى التحية. وقيل: من السلامة من المكاره.
على المرسلين	الذين أرسلهم الله إلى خلقه، وبلَّغوا رسالات ربهم، جَمْعُ مرسَل. وتقدَّم تعريفه.
العالَمين	جَمْعُ عالَم وهو: كلُّ مَنْ سِوَى الله تعالى.

المعنى الإجمالي:

قد بيَّنه الشيخ- رحمه الله- بقوله: (**فسَبَّح نفسه** .... إلخ) .

ما يستفاد من الآيات:

(١) تنزيه الله- سبحانه وتعالى- عما يصفه به الضُّلَّال والجُهَّال مما لا يليق بجلاله.

(٢) صِدقُ الرسل ووجوب قبول ما جاءوا به وما أخبروا به عن الله سبحانه وتعالى.

(٣) مشروعية السَّلام على الرسل- عليهم الصلاة والسلام- واحترامهم.

(٤) ردُّ كلِّ ما يخالف ما جاءت به الرسل؛ لا سِيَّما ما يتعلق بأسماء الله – تعالى – وصفاته.

(٥) مشروعية الثناء على الله – تعالى – وشُكره على نعمه التي من أجلِّها نعمة التوحيد.

وهو- سبحانه- قد جَمَعَ فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسه بين النفي والإثبات.

فلا عُدُولَ لأهل السُّنة والجماعة عما جاء به المرسَلون؛ فإنه الصِّراطُ المستقيم.

قوله: (وهو- سبحانه- قد جَمَعَ... إلخ): هذا بيانٌ للمنهج الذي رسمه الله- تعالى- في كتابه لإثبات أسمائه وصفاته. وهو المنهج الذي يجب أن يسير عليه المؤمنون في هذا الباب المهم.

فإنه- سبحانه- **(قد جَمَعَ فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسه)** أي: في جميع أسمائه وصفاته **(بين النفي والإثبات)** **فالنفي هو:** نفي ما يُضادُّ الكمال من أنواع العيوب والنقائص؛ كنفي النِّدِ والشريكِ والسِّنَةِ والنوم والموت واللُّغوب.

وأما الإثبات فهو: إثبات صفات الكمال ونعوت الجلال لله ؛ كقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الحشر:٢٣، ٢٤].

وغير ذلك مما سيَذكر له المؤلف نماذج فيما يأتي.

وقوله: (فلا عُدُولَ لأهل السُّنة والجماعة عما جاء به المرسَلون) أي: لا مَيل لهم ولا انحراف عن ذلك. بل هم مقتفون آثارهم مستضيؤون بأنوارهم. ومن ذلك إثبات صفات الكمال لله-تعالى- وتنزيهه عما لا يليق به. فإنَّ الرسل قد قرَّروا ذلك الأصل العظيم.

وأما أعداء الرسل فإنهم قد عَدَلُوا عن ذلك.

وقوله: (فإنه الصِّراط المستقيم) تعليلٌ لقوله: **(فلا عُدُولَ لأهل السُّنة)** أي: لأن ما جاء به المرسَلون هو الصِّراط المستقيم.

والصِّراط المستقيم هو: الطريق المعتدل الذي لا تَعَدُّدَ فيه ولا انقسام، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾. [الأنعام:١٥٣].

وهو الذي ندعو الله- تعالى - في كل ركعةٍ من صلواتنا أن يهدينا إليه.

صراطُ الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصِّدِّيقين، والشهداء، والصالحين.

قوله: (صراط الذين أنعم الله عليهم) أي: أنَّ الصِّراط المستقيم الذي جاء به المرسَلون في الاعتقاد وغيره، وسَلَكَه أهل السُّنة والجماعة؛ هو: صراط الذين أنعم الله عليهم، أي: أنعم الله عليهم الإنعام المطلق التام المتصل بسعادة الأبد، وهم: الذين أمرنا الله-تعالى- أن ندعوه أن يهدينا طريقهم.

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أهل هذه النعمة المطلَقة وهم:

١- **النبيون** - جمع نبيٍّ -، وهم: الذين اختصَّهم الله- تعالى- بِنبوَّته ورسالته. وتقدَّم تعريفهم عند ذِكر أركان الإيمان.

٢- **الصِّدِّيقون** - جمع صدِّيقٍ-وهو: المبالِغ في الصِّدق والتصديق، أي: المبالغ في الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص لله سبحانه وتعالى.

٣- **الشُّهداء** - جمع شهيدٍ -، وهو: المقتول في سبيل الله. سُمِّيَ بذلك؛ لأنه مشهودٌ له بالجنة، ولأن ملائكة الرحمة تشهده.

٤- **الصَّالحون** - جمع صالحٍ - ،وهو: القائم بحقوق الله- تعالى - وحقوق عباده.

والصِّراط تارةً يضاف إلى الله- تعالى-؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام:١٥٣]؛ لأنه هو الذي شَرَعَه ونَصَبَه.

وتارةً يضاف إلى العباد؛ كما في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧]؛ لكونهم سَلَكُوه.

ففي الآية الكريمة: تنبيهٌ على الرفيق في هذا الطريق، وأنهم هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين؛ ليزول عن سالك هذا الطريق وحشة التفرُّد عن أهل زمانه إذا استشعر أنَّ رِفقته على هذا الصِّراط: الأنبياء والصِّدِّيقون والشُّهداء والصَّالحون.

ثم أورد الشيخ- رحمه الله- نماذج مِنْ الكتاب والسُّنة تشتمل على إثبات أسماء الله-تعالى- وصفاته، وفيما يلي إيراد ذلك.

أسئلة

س١- يستحب البدء بـ (الحمد لله)، اذكر الدليل على ذلك.

س٢- قال الله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾ وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ ما الفرق بين الهداية في الآيتين؟

س٣- املأ الفراغ بالكلمة المناسبة:

أ - في قوله: عبده ورسوله ردٌّ على ..... و .....

ب - أحسن ما قيل في آل النبي ﷺ أنهم: ..... ، والصحابي هو: من لقي النبي ﷺ..... و .....

ج - أهل السُّنة والجماعة هم: الفرقة..... و ..... إلى قيام الساعة.

د - التحريف نوعان ، تحريف ..... ، وتحريف .....

س٤- ما الإيمان شَرعاً ؟ واذكر أركانه.

س٥- ما عقيدة أهل السُّنة والجماعة في أسماء الله – تعالى – وصفاته ؟

س٦- بيِّن معاني ما يأتي: (التحريف، التعطيل، التكييف، التمثيل، ولا نِدَّ له) .

س٧- كم أنواع الإلحاد في أسماء الله-تعالى- وصفاته ؟ اذكر ثلاثةً منها، مع التمثيل.

س٨- ما الفرق بين الصِّراط في قول الله- تعالى -: ﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: ٥٣] وفي قوله: ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة:٧] ؟

الباب الأول

الاستدلال على إثبات أسماء الله تعالى وصفاته من القرآن الكريم

الفصل الأول

الجمع بين النفي والإثبات في وصفه تعالى

قال رحمه الله:

وقد دخل في هذه الجملة ما وَصَفَ الله به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن حيث يقول: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ .

قوله: (وقد دخل في هذه الجملة) أي: التي تقدَّمت. وهي: قوله: **(وهو- سبحانه - قد جَمَعَ فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسه بين النفي والإثبات)**. فأراد هنا: أن يورِد ما يدلُّ على ذلك من الكتاب والسُّنة وبدأ بسورة الإخلاص ؛ لفضلها، وسُمِّيت بذلك؛ لأنها أخلصت في صفات الله؛ ولأنها تُخَلِّص قارئها من الشرك.

قوله: (التي تعدل ثلث القرآن) أي: تساويه؛ وذلك لأن معاني القرآن ثلاثة أنواع: توحيدٌ، وقَصَصٌ، وأحكامٌ. وهذه السورة فيها صفة الرحمن، فهي في التوحيد وحده، فصارت تعدل ثلث القرآن. والدليل على أنَّ هذه السورة تعدل ثلث القرآن ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رجلاً سمع رجلاً يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الاخلاص :١] يردِّدها. فلما أصبح جاء إلى النبي ﷺ فذكر له ذلك وكأن الرجل يتقالُّها، فقال النبي ﷺ **"والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن"**.

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله-: «والأحاديث بِكَونِها تعدل ثلث القرآن تكاد تبلغ مبلغ التواتر».

قوله: (حيث يقول) أي: الله جَلَّ شأنه.

قوله: ﴿قُلْ﴾ أي: يا محمد، وفي هذا دليلٌ على أنَّ القرآن كلام الله-تعالى-، إذ لو كان كلام محمدٍ أو غيره لم يقل: ﴿قُلْ﴾.

قوله: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي: واحدٌ لا نظير له، ولا وزير، ولا مثيل، ولا شريك له.

قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: السيِّد الذي كَمُل في سؤدده وشرفه وعظمته، وفيه جميع صفات الكمال، والذي تصمد إليه الخلائق، وتقصده في جميع حاجاتها ومهماتها.

قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ أي: ليس له ولدٌ ولا والدٌ. وفيه الردُّ على النصارى ، ومشركي العرب الذين نسبوا لله الولد.

قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ أي: ليس له مكافئٌ، ولا مماثلٌ، ولا نظيرٌ.

والشاهد من هذه السورة أنها : تضمَّنت وجمعت بين النفي والإثبات :

فقوله :﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ إثباتٌ.

وقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ نفيٌ.

وما وصف به نفسه في أعظم آيةٍ في كتابه، حيث يقول:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

ولهذا كان مَنْ قرأ هذه الآية في ليلةٍ لم يزل عليه من الله حافظٌ، ولا يقربه شيطانٌ حتى يصبح.

قوله: (وما وصف به نفسه في أعظم آيةٍ من كتابه) أي: ودخل في الجملة السابقة ما وصف الله به نفسه الكريمة.

قوله: (في أعظم آيةٍ): والآية في اللغة: العلامة. والمراد بها هنا: طائفةٌ من كلمات القرآن متميزةٌ عن غيرها بفاصلةٍ، وتُسَمَّى هذه الآية التي أوردها هنا: آية الكرسي؛ لذِكر الكرسي فيها وهي أعظم آيةٍ في القرآن.

والدليل على أنها أعظم آيةٍ في القرآن ما ثبت في الحديث الصحيح الذي رواه مسلمٌ عن أُبَيِّ بن كعب ﷺ أنَّ النبي ﷺ سأله **"أيُّ آيةٍ في كتاب الله أعظم؟"** قال: الله ورسوله أعلم.

فردَّدها مِراراً ثم قال أُبَيٌّ: آية الكرسي. فقال النبي ﷺ: **"لِيَهنك العلم أبا المنذر"**.

وسبب كونها أعظم آيةٍ؛ لما اشتملت عليه مِنْ إثبات أسماء الله وصفاته وتنزيهه عما لا يليق به.

فقوله- تعالى -: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أي: لا معبود بحقٍّ إلا هو، وما سواه فعبادته من أبطل الباطل.

قوله: ﴿ ٱلۡحَيُّ ﴾ أي: الدائم الباقي الذي له كمال الحياة؛ والذي لا سبيل للفناء عليه.

قوله: ﴿ ٱلۡقَيُّومُ ﴾ أي: القائم بنفسه المقيم لغيره، فهو غَنِيٌّ عن خلقه، وخلقه محتاجون إليه.

وقد ورد أنَّ ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ هو الاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ الله به أجاب وإذا سُئل به أعطى؛ لدلالة الحي على الصفات الذاتية، ودلالة القيُّوم على الصفات الفعلية، فالصفات كلُّها ترجع إلى هذين الاسمين الكريمين العظيمين، ولكمال قَيُّوميَّته ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

فقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: السِّنَة: النعاس، وهو نومٌ خفيفٌ، ويكون في العين فقط، والنوم أقوى من السِّنَةِ . وهو أخو الموت، ويكون في القلب.

قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: مُلكًا وخَلقًا وعبيدًا، فهو يملك العالَمَ العلوي والسفلي.

قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: لا أحد يشفع عنده. والشفاعة: مشتقَّةٌ من الشَّفع وهو ضِدُّ الوِتر ، فكأنَّ الشافع ضُمَّ سؤالُه إلى سؤال غيره فصيَّره شفعًا بعد أن كان وِترًا.

والشَّفاعة: سؤال الخير للغير؛ بمعنى: أن يسأل المؤمن ربه أن يغفر ذنوب وجرائم بعض المؤمنين. لكنها مُلْكُ الله- سبحانه وتعالى - فلا تكون ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بأمره؛ وذلك لكبريائه وعظمته سبحانه وتعالى.

لا يستطيع أحدٌ أن يتقدَّم إليه بالشَّفاعة عنده لأحدٍ إلا بعد أن يأذن.

قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: عِلمُه واطِّلاعُه- سبحانه - محيطٌ بالأمور الماضية والمستقبلة فلا يخفى عليه منها شيءٌ.

قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي: أنَّ العباد لا يعلمون شيئاً مِنْ عِلْم الله- سبحانه وتعالى- إلا ما علَّمهم الله سبحانه إيَّاه على ألْسِنة رسله – عليهم السَّلام-، وبِطُرقٍ وأسبابٍ متنوعةٍ.

قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ : كرسيُّه- سبحانه - قيل: إنه العرش، وقيل: إنه غيره. فقد ورد أنه موضع القدمين . وهو كرسيٌّ بلغ مِنْ عظمته وسعته أنه وسع السموات والأرض.

قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ أي: لا يكرثه ولا يشقُّ عليه ولا يُثقله حِفْظُ العالَمَ العلوي والسفلي؛ لكمال قدرته وقوَّته.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ أي: له العلو المطلق.

أنواع علو الله- تعالى - ثلاثة :

(١) علو الذَّات: بكونه- سبحانه وتعالى - فوق جميع المخلوقات ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾.

(٢) علو القَدْر: فله- سبحانه وتعالى - كلُّ صفات الكمال ونعوت الجلال.

(٣) علو القهر: فهو القادر على كلِّ شيءٍ المتصرِّف في كلِّ شيءٍ لا يمتنع عليه شيءٌ سبحانه وتعالى.

قوله- تعالى -: ﴿ٱلْعَظِيمُ﴾: الذي له جميع صفات العظمة، وله- سبحانه - التعظيم الكامل في قلوب أنبيائه وملائكته وعباده المؤمنين . فحقيقٌ بآيةٍ تحتوي على هذه المعاني أن تكون أعظم آيةٍ في القرآن . وأن تحفظ قارئها من الشرور والشياطين.

والشاهد من الآية:

أنَّ الله- سبحانه وتعالى - جمع فيها فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسه بين النفي والإثبات، فقد تضمَّنت إثبات صفات الكمال، ونفي النقص عن الله سبحانه وتعالى.

ففي قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: نفي الإلهية عما سواه وإثباتها له سبحانه وتعالى.

وفي قوله: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾: إثبات الحياة والقيُّوميَّة له سبحانه وتعالى.

وفي قوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: نفي السِّنَةِ والنوم عنه سبحانه وتعالى.

وفي قوله: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: إثبات مُلكيَّته الكاملة للعالَمين العلوي والسفلي.

وفي قوله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾: نفي الشفاعة عنده بغير إذنه؛ لكمال عظمته- سبحانه وتعالى - وغناه عن خلقه.

وفي قوله: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾: إثبات كمال علمه سبحانه بكلِّ شيءٍ ماضيًا ومستقبلاً.

وفي قوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾: بيان حاجة الخلق إليه وإثبات غناه عنهم.

وفي قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾: إثبات كرسيِّه، وإثبات كمال عظمته وجلاله، وصِغَر المخلوقات بالنسبة إليه جَلَّ وعَلا.

وفي قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾: نفي العجز والتعب عنه سبحانه وتعالى.

وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾: إثبات العلو والعظمة له سبحانه وتعالى.

وقول المصنِّف رحمه الله: و(لهذا كان مَنْ قرأ هذه الآية في ليلةٍ لم يزل عليه من الله حافظٌ ولا يقربه شيطانٌ حتى يصبح): يشير إلى ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ وفيه: **"إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ حتى تختم الآية ؛ فإنك لن يزال عليك مِن الله حافظٌ ولا يقربك شيطانٌ حتى تصبح..."** الحديث.

والشيطان: يُطلَق على كلِّ متمرِّدٍ عاتٍ مِن الجنِّ والإنس - مِنْ شَطَنَ إذا بَعُدَ - سُمِّي بذلك؛ لبُعدِه مِنْ رحمة الله، أو مِنْ شاط يشيط إذا اشتدَّ.

الفصل الثاني

الجمع بين علوه، وقربه، وأزليته، وأبديته ﷻ

قال رحمه الله:

وقوله – سبحانه–: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [سورة الحديد: ٣] .

قوله– تعالى–: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُ﴾ هذه الآية الكريمة قد فسَّرها النبي ﷺ في الحديث الذي رواه مسلمٌ أنه ﷺ قال: **"اللهم أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخِر فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطن فليس دونك شيءٌ"**.

معنى الآية إجمالاً:

فسَّر النبي ﷺ هذه الأسماء الأربعة بهذا التفسير المختصر الواضح. وفي هذه الأسماء المباركة إحاطته سبحانه مِنْ كلِّ وجهٍ؛ ففي اسمه الأول والآخِر إحاطته الزمانية، وفي اسمه الظاهر والباطن إحاطته المكانية.

قال الإمام ابن القيِّم– رحمه الله–: "فهذه الأسماء الأربعة متقابِلةٌ: اسمان لأزليته وأبديته سبحانه، واسمان لعلوه وقُربه؛ فأوَّلِيَّتُه– سبحانه– سابقةٌ على أوَّلِيَّة كُلِّ ما سواه، وآخِرِيَّتُه– سبحانه– ثابتةٌ بعد آخِرِيَّة كُلِّ ما سِواه. فأوَّلِيَّتُه: سَبْقُه لكُلِّ شيءٍ، وآخِرِيَّتُه: بقاؤه بعد كُلِّ شيءٍ، وظاهريَّتُه: فوقيَّتُه وعلُوُّه على كُلِّ شيءٍ. ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء: ما علا منه.

وبُطونه سبحانه: إحاطته بكُلِّ شيءٍ بحيث يكون أقرب إليه مِنْ نفسه. وهذا قُرْب الإحاطة العامَّة".

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ أي: قد أحاط علمه–سبحانه وتعالى– بكُلِّ شيءٍ؛ مِن الأمور الماضية والحاضرة والمستقبلة، ومِن العالَم العلوي والسفلي، ومِن الظواهر والبواطن، لا يَعزُب عن علمه مثقالُ ذرَّةٍ في الأرض ولا في السَّماء.

والشاهد من الآية الكريمة:

إثبات هذه الأسماء الكريمة لله– سبحانه وتعالى–، المقتضية لإحاطته بكُلِّ شيءٍ زماناً ومكاناً واطِّلاعاً وتقديراً وتدبيراً. تعالى وتقدَّس علواً كبيراً.

وقوله- سبحانه-: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ [الفرقان:٥٨] .

قوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴾ أبدًا، أي: فَوِّض أمورك إليه.

فالتوكُّل لغةً: التفويض . يقال: وَكَلْتُ أمري إلى فلان؛ أي: فوَّضته.

ومعناه شَرعاً: اعتماد القلب على الله-تعالى- في جلب ما ينفع ودفع ما يضر.

والتوكُّل على الله-تعالى- نوعٌ من أنواع العبادة، وهو: واجبٌ، ولا ينافي الأخذَ بالأسباب بل يتَّفق معه تماماً.

وخَصَّ صفة الحياة في قوله: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ ﴾ إشارةً إلى أنَّ الحي هو الذي يوثَق به في تحصيل المصالح. ولا حياة على الدوام إلا لله- سبحانه وتعالى-، وأما الأحياء المنقطعة حياتهم فإنهم إذا ماتوا ضاع من يَتَوكل عليهم.

والشاهد من الآية الكريمة:

إثبات الحياة الكاملة لله- سبحانه وتعالى - ، ونفي الموت عنه، ففيها الجمع بين النفي والإثبات في صفات الله تعالى.

الفصل الثالث

إحاطة علمه بجميع مخلوقاته

قال رحمه الله:

وقولـه- تعـالى-: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ١، ٢].

وقولـه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ **له معنيان:**

أحدهما: أنه الحاكم بين خلقه بأمره الكوني وأمره الشَّرعي في الدنيا والآخرة.

والثاني: أنه المُحْكِم المتقِن للأشياء، مأخوذٌ من الحِكمة وهي وضع الأشياء في مواضعها، فهو سبحانه الحاكم بين عباده الذي له الحِكمة في خلقه وأمره، لم يخلق شيئًا عبثًا ولم يشرع إلا ما هو عين المصلحة.

وقوله: ﴿ٱلۡخَبِيرُ﴾: من الخِبرة: وهي الإحاطة ببواطن الأشياء وظواهرها، يقال: خَبَرتُ الشيء إذا عرفته على حقيقته. فهو- سبحانه وتعالى- الخبير؛ أي: الذي أحاط ببواطن الأشياء وخفاياها كما أحاط بظواهرها.

وقوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: ما يدخل فيها من القَطْر والبذور والكنوز والموتى وغير ذلك، ﴿وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا﴾ أي: من الأرض؛ من النبات والمعادن وغير ذلك، ﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: من المطر والملائكة وغير ذلك، ﴿وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَا﴾ أي: يصعد في السَّماء من ملائكةٍ وأعمالٍ وغير ذلك.

والشاهد من الآيتين الكريمتين:

(١) إثبات اسمين من أسمائه الحسنى: الحكيم والخبير؛ وهما يتضمَّنان صفتين من صفاته وهما: الحِكمة والخِبرة.

(٢) إثبات عِلم الله- سبحانه وتعالى- المحيط بكُلِّ شيءٍ.

وقوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ أي: عند الله-تعالى- وحده خزائن الغيب أو ما يُتَوصَّل به إلى علمه . ﴿لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ فمن ادَّعَى علم شيءٍ منها فقد كفر.

وقد ورد تفسير مفاتح الغيب في الحديث الذي رواه ابن عمر-رضي الله عنهما- كما في الصحيحين عنه أنَّ النبي ﷺ قال: **"مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمهن إلا الله"** ثم قرأ هذه الآية:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[لقمان: ٣٤] .

وقوله: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾ أي: اليابس المعمور والقفار من السكان والنبات والدواب وغير ذلك، ويعلم ما في البحر من الحيوانات والجواهر ونحو ذلك.

وقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ أي: من أشجار البر والبحر وغير ذلك إلا يعلمها، ويعلم زمان سقوطها ومكانه.

﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: ولا تكون حبةٌ في الأمكنة المظلمة، أو في بطن الأرض.

﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ﴾ من جميع الموجودات؛ عمومٌ بعد خصوص.

﴿إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ أي: لا يحصل شيءٌ من ذلك إلا وهو مكتوبٌ في اللوح المحفوظ.

والشاهد من الآية:

(١) إثبات أنه لا يعلم الغيب إلا الله- سبحانه وتعالى-. وأنَّ علمه محيطٌ بكُلِّ شيءٍ .

(٢) إثبات القَدَر والكتابة في اللوح المحفوظ.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فاطر : ١١].

وقوله تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات : ٥٨].

قوله- تعالى-: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ أي: لا يكون حَمْلٌ ولا وَضْعٌ إلا والله عالمٌ به فلا يخرج شيءٌ عن علمه وتدبيره. فيعلم- سبحانه وتعالى - في أيِّ يومٍ تَحمِلُ الأنثى، وفي أيِّ يومٍ تَضَع، ونوع حملها، هل هو ذكرٌ أو أنثى.

وقوله- تعالى-: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ أي: فَعَل ذلك؛ لتعلموا كمال قدرته.

وقوله : ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ أي: ولتعلموا إحاطة علمه بالأشياء، فلا يخرج عن علمه شيءٌ منها كائناً ما كان، و﴿عِلْمًا﴾ منصوبٌ على التمييز، ، أو على المصدريَّة؛ لأنَّ أحاط بمعنى: عَلِمَ.

والشاهد من الآيتين:

(١) إثبات علم الله- سبحانه وتعالى- المحيط بكُلِّ شيءٍ.

(٢) إثبات قُدرته على كُلِّ شيءٍ.

وقوله- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ أي: لا رازق غيره؛ الذي يرزق مخلوقاته ويقوم بما يصلحهم. فهو كثير الرزق واسعه فلا تعبدوا غيره.

وقوله: ﴿ذُو ٱلْقُوَّةِ﴾ أي: صاحب القوَّة التامَّة، الذي لا يعتريه ضَعْفٌ.

وقوله: ﴿ٱلْمَتِينُ﴾ أي: البالغ في القوَّة والقُدرة نهايتها؛ فلا يلحقه في أفعاله مشقَّةٌ ولا كلفةٌ ولا تعبٌ. والمتانة معناها : الشِّدَّة والقوَّة.

والشاهد من الآية الكريمة:

(١) إثبات اسمه الرزاق سبحانه وتعالى .

(٢) وصفه بالقوَّة التامَّة – التي لا يعتريها ضَعْفٌ ولا تعبٌ – سبحانه وتعالى.

(٣) الاستدلال على وجوب عبادته وحده لا شريك له.

الفصل الرابع

إثبات السمع والبصر لله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله :

وقوله- تعالى- : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

وقوله- تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

قوله- تعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ أول الآية قوله تعالى : ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ الشورى: ١١ .

قال الإمام ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: ((أي : ليس كخالق الأزواج كُلِّها شيءٌ؛ لأنه الفرد الصَّمد الذي لا نظير له)) ا هـ.

قوله : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ أي : الذي يسمع جميع الأصوات.

و﴿ٱلْبَصِيرُ﴾ الذي يرى كلَّ شيءٍ، ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء.

معنى الآية إجمالاً :

قال الإمام الشوكاني- رحمه الله- في [تفسيره] : ((ومَنْ فَهِم هذه الآية الكريمة حَقَّ فَهْمِها، وتدبَّرها حقَّ تدبُّرها، مشى بها عند اختلاف المختلفين في الصفات على جادَّةٍ بيضاء واضحةٍ، ويزداد بصيرةً إذا تأمَّل معنى قوله : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ . فإنَّ هذا الإثبات بعد ذلك النفي للمماثِل قد اشتمل على بَرْد اليقين، وشفاءِ الصدور، وانثلاج القلوب. فاقْدِر يا طالب الحقِّ قَدْر هذه الحُجَّة النيِّرة والبرهان القوي، فإنك تحطم بها كثيراً من البدع، وتهشم بها رؤوساً من الضَّلالة، وتُرغِمُ بها أنوف طوائف مِن المتكلِّمين، ولا سِيَّما إذا ضممت إليه قول الله- سبحانه وتعالى- : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠])). ا هـ .

وقوله- تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا﴾ قَبْله قولُه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾.

(نِعْمَ) من ألفاظ المدح، و (ما) قيل: نكرةٌ موصوفةٌ؛ كأنه قيل: نِعْمَ شيئاً يعِظُكم به. وقيل: إنَّ (ما) موصولةٌ؛ أي: نِعْمَ الشيء الذي يعِظُكم به.

وقوله : ﴿يَعِظُكُم﴾ أي : يأمركم به؛ من أداء الأمانات، والحُكم بين الناس بالعدل.

وقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ أي : أنه- سبحانه وتعالى- سميعٌ لما تقولون، بصيرٌ بما تفعلون.

الشاهد من الآيتين الكريمتين:

(١) إثبات السمع والبصر لله سبحانه وتعالى .

(٢) وفي الآية الأولى: نفي مماثلة المخلوقات؛ ففي ذلك الجمعُ فيما وَصَفَ وسَمَّى به نفسه بين النفي والإثبات.

الفصل الخامس

إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله :

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ [الكهف : ٣٩] .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة:٢٥٣] .

وقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ [المائدة: ١].

قوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ﴾ أي : هَلَّا إذ دخلتَ بُستانك ﴿ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ أي : إن شاء أبقاها، وإن شاء أفناها اعترافاً بالعجز وأنَّ القُدرة لله سبحانه وتعالى.

قال بعض السَّلف : مَنْ أعجبه شيءٌ فليقل: ما شاء الله لا قوَّة إلا بالله.

وقوله- تعالى- : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ أي: لو شاء- سبحانه - عَدَم اقتتالهم لم يقتتلوا ؛ لأنه لا يجري في مُلكِه إلا ما يريد، لا رادَّ لحُكمِه ولا مبدِّل لقضائه.

وقوله- تعالى- : ﴿ أُحِلَّتْ لَكُم ﴾ أي : أبيحت، والخطاب للمؤمنين.

وقوله: ﴿ بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ أي : الإبل والبقر والغنم.

وقوله : ﴿ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ استثناءٌ مِنْ بهيمة الأنعام، والمراد به المذكور في الآية بعدها بقليل: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ ﴾ [آية رقم ٣].

وقوله: ﴿ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ استثناءٌ آخر مِنْ بهيمة الأنعام، أي : أُحِلَّت لكم بهيمة الأنعام كلُّها، إلا ما كان منها وحشياً؛ فإنه صيدٌ لا يَحِلُّ لكم في حال الإحرام. فقوله :﴿ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ﴾ في محل نصبٍ على الحال، والمراد بالحُرُم: مَنْ هو مُحرِمٌ بحجٍ أو عمرةٍ أو بهما. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾ من التحليل والتحريم، لا اعتراض عليه.

الشاهد من الآيات:

إثبات المشيئة والقوَّة والحُكم والإرادة صفاتٍ لله- سبحانه تعالى- على ما يليق بجلاله.

وقولـه تعـالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

قوله- تعالى-: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ ﴾ أي : مَنْ شاء الله- سبحانه وتعالى- أن يوفقه ويجعل قلبه قابلاً للخير. و(مَنْ) : اسم شرطٍ جازمٍ، و (يُرِد) مجزومٌ على أنه فعل الشَّرط.

وقوله: ﴿ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ ﴾: مجزومٌ بجواب الشَّرط. والشَّرح: الشَّقُّ؛ وأصله التوسعة. وشَرَحتُ الأمر : بيَّنتُه ووضَّحتُه. أي: يوسِّع الله صدره للحقِّ الذي هو الإسلام حتى يقبله بصدرٍ منشرحٍ.

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ ﴾ أي: ومَنْ شاء سبحانه أن يصرفه عن قبول الحقِّ ﴿ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا ﴾ أي: لا يتَّسع لقبول الحقِّ ﴿ حَرَجًا ﴾ أي: شديد الضِّيق فلا يبقى فيه منفذٌ للخير؛ وهو تأكيدٌ لمعنى: ﴿ ضَيِّقًا ﴾.

وقوله: ﴿ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ أصله: يتصعَّد أي : كأنما تكلَّف مالا يطيق مرةً بعد مرةٍ: كما يتكلَّف مَنْ يريد الصُّعود إلى السَّماء . شَبَّه الكافر في ثقل الإيمان عليه بمن يتكلَّف ما لا يطيقه كصعود السَّماء.

والشاهد من الآية الكريمة:

إثبات الإرادة لله- سبحانه وتعالى-، وأنها شاملةٌ للهداية والإضلال، أي: يريد الهداية ويريد الإضلال كوناً وقَدَراً؛ لحكمةٍ بالغةٍ.

فالإرادة الربانية نوعان:

النوع الأول ـ إرادةٌ كونيةٌ قَدَريةٌ وهذه مرادفةٌ للمشيئة، ومن أمثلتها:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا ﴾ [الإسراء:١٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ﴾[الرعد،: ١١].

وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾[الأنعام:١٢٥].

النوع الثاني ـ إرادةٌ دينيةٌ شرعيةٌ، ومن أمثلتها **قوله- تعالى-:** ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء :٢٧].

وقوله- تعالى- : ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾[المائدة : ٦] .

وقوله- تعالى-: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾[الأحزاب: ٣٣] .

الفرق بين الإرادتين :

① الإرادة الكونية قد يحبها الله-تعالى- ويرضاها، وقد لا يحبها ولا يرضاها. والإرادة الشَّرعية لابدَّ أنه يحبها ويرضاها، ومثال ذلك: المعصية، فالله أراد المعصية كوناً ولا يرضاها شَرعاً.

② والإرادة الكونية مقصودةٌ لغيرها؛ كخَلْق إبليس وسائر الشُّرور؛ لتحصل بسبب ذلك المجاهدة والتوبة والاستغفار، وغير ذلك من المَحَابِّ. والإرادة الشَّرعية مقصودةٌ لذاتها، ومثال ذلك: الطاعة؛ فالله-تعالى- أراد الطاعة كوناً وشَرعاً وأحبَّها ورَضِيَها.

③ الإرادة الكونية لابُدَّ من وقوعها.

والإرادة الشرعية لا يلزم وقوعها فقد تقع وقد لا تقع.

تنبيهـــان :

الأول ـ تجتمع الإرادتان الكونية، والشَّرعية في حقِّ المُخْلِص المُطيع. وتنفرد الإرادة الكونية في حقِّ العاصي.

الثاني ـ أهل السُّنة أثبتوا الإرادتين وفرَّقوا بينهما . فمَنْ لم يُثبت الإرادتين ويفرِّق بينهما فقد ضَلَّ؛ كالجبرية والقَدَرية. فالجبرية: أثبتوا الإرادة الكونية فقط . والقَدَرية: أثبتوا الإرادة الشَّرعية فقط.

الفصل السادس

إثبات محبة الله ومودَّته لأوليائه على ما يليق بجلاله

قال رحمه الله :

وقوله-تعالى- : ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥] .

﴿وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات : ٩] .

﴿فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٧] .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] .

وقوله-تعالى- : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] .

وقوله-تعالى- : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] .

وقوله-تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾[الصف: ٤].

وقوله-تعالى- : ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] .

مناسبة هذا الموضوع لما قبله:

لما ذكر الشيخ- رحمه الله- الآيات التي تدلُّ على إثبات المشيئة والإرادة، ذكر الآيات التي تدلُّ على إثبات المحبة لله- سبحانه وتعالى- وفي ذلك الردُّ على من سَوَّى بين المشيئة والمحبَّة، وقال: إنهما متلازمتان فكلُّ ما شاء الله فقد أحبَّه. وقد قدَّمنا أنَّ في ذلك تفصيلاً ، فقد يشاء الله ما لا يحبه: ككفر الكافر وسائر المعاصي. وقد يشاء ما يحب : كالإيمان وسائر الطاعات.

قوله- تعالى-: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ﴾: هذا أمرٌ مِن الله- سبحانه وتعالى- بالإحسان وهو: الإتيان بالعمل على أحسن أحواله وأكملها. والإحسانُ هو: أعلى مقامات الطاعة.

وقوله- تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ هذا تعليلٌ للأمر بالإحسان، فهو أمَر به؛ لأنه يُحبُّه ويُحبُّ أهله فيكون ذلك حافزاً على امتثال الأمر به.

وقوله- تعالى-: ﴿وَأَقۡسِطُوٓاْ﴾ أمرٌ بالإقساط، وهو: العدل في المعاملات والأحكام مع القريب والبعيد.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ تعليلٌ للأمر بالإقساط، فهو أمَر به؛ لأنه ﴿يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ﴾ أي : العادلين. ومحبتُه- سبحانه وتعالى- لهم تستلزم أن يجزيهم أحسن الجزاء.

وقوله- تعالى- : ﴿فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡ﴾ أي : ما استقام لكم المشركون على العهد فلم ينقضوه؛ فاستقيموا على الوفاء لهم فلا تقاتلوهم.

قوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ تعليلٌ للأمر بالاستقامة على العهد، فهو أمَر بها؛ لأنها من أعمال المتقين الذين يحبهم الله تعالى.

وفي الأمر بالاستقامة إشارةٌ إلى أنَّ الوفاء بالعهد والاستقامة عليه مِنْ أعمال المتقين.

والتقوى هي: التحرُّز بطاعة الله-تعالى- عن معصيته؛ رجاء ثوابه وخوفاً مِنْ عقابه.

وقوله- تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ **التوابين :** جمع توَّاب، صيغة مبالغةٍ مِن التوبة؛ وهي **لغةً** : الرجوع. **وشَرعاً**: الرجوع عن الذنب. هذا تفسيرها في حقِّ العبد، وأما في حقِّ الله- سبحانه وتعالى- فالتوَّاب مِنْ أسماء الله تعالى.

وقد ذكر ابن القيم- رحمه الله- الفرق بينهما فقال: (العبد توَّاب ، والله توَّاب ، فتوبة العبد رجوعه إلى سَيِّده. وتوبة الله-سبحانه وتعالى- نوعان : إذْنٌ وتوفيقٌ ـ وقبولٌ واعتدادٌ).

قوله : ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ **المتطهِّرين** : جمعُ متطهِّر اسم فاعلٍ مِن الطهارة وهي: النزاهة والنظافة عن الأقذار؛ حسِّيةً كانت أو معنويةً.

وفي الآية الكريمة : إخبارٌ مِن الله- سبحانه وتعالى- عن محبته لهذين الصنفين مِنْ عباده: التوَّابين والمتطهِّرين.

وقوله- تعالى - : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

سبب نزول هذه الآية الكريمة: كما ذكره ابن كثير-رحمه الله- وغيره :

أنَّ قوماً زعموا أنهم يحبون الله، فابتلاهم الله-تعالى-، أي: اختبرهم بهذه الآية، فهي حاكمةٌ على كلِّ مَنْ ادَّعى محبة الله-تعالى- وليس هو على الطريقة المحمدية بأنه كاذبٌ في دعواه.

وقوله-تعالى-: ﴿يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ أي : يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه؛ وهو محبته إياكم وهو أعظم من الأول.

وقوله- تعالى- : ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ هذا جواب الشَّرط في قوله : ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ أي: يخبر الله - سبحانه وتعالى- عن قدرته العظيمة؛ أنه مَنْ تَولَّى عن نصرة دينه، وإقامة شريعته أنه يستبدل به مَنْ هو خيرٌ منه، وهم قومٌ متَّصفون بصفاتٍ عظيمةٍ؛ مِنْ أعظمها: أنَّ الله يحبهم وهم يحبونه، والمراد بهم: أبوبكر الصِّدِّيق وجيشه مِن الصحابة والتابعين- رضي الله عنهم-، الذين قاتلوا أهل الردَّة، ثم كلُّ مَنْ جاء بعدهم مِن المقاتلين للمرتدين إلى يوم القيامة.

وقوله- تعالى- : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ﴾ إخبارٌ مِن الله- تعالى- مؤكَّدٌ أنه يحب من اتَّصف بهذه الصفة، أي : الذين يجاهدون بأموالهم وأنفسهم؛ لإعلاء كلمة الله، ﴿صَفًّا﴾ أي : يصفُّون أنفسهم عند القتال ولا يزولون عن أماكنهم.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ قد رُصَّ بعضُه ببعضٍ وأُلزِق بعضُه ببعضٍ فليس فيه فُرجةٌ ولا خللٌ.

وقوله- تعالى-: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ﴾ أي: كثير المغفرة، **والغَفْر:** السِّتر. فهو- سبحانه وتعالى- يغفر لمن تاب إليه، أي : يستر ذنوبه ويتجاوز عن خطاياه.

وقوله: ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾ مِن الوُدِّ، وهو خالص الحُب . فهو- سبحانه وتعالى- ودودٌ؛ بمعنى : أنه يحب أهل طاعته، وفي ذِكر هذين الاسمين الكريمين مقترنين سِرٌّ لطيفٌ؛ وهو: أنه يحب عبده - بعد المغفرة - فيغفر له، ويحبه بعد ذلك.

والشاهد من هذه الآيات الكريمة:

(١) إثبات المحبة والمودَّة لله سبحانه وتعالى.

(٢) أنه-تعالى- يُحِبُّ ويَوَدُّ بعض الأشخاص والأعمال والأخلاق. فهو يُحِبُّ بعض الأشياء دون بعضٍ على ما تقتضيه حكمته البالغة. فهو يُحِبُّ المحسنين، ويُحِبُّ المقسطين، ويُحِبُّ المتقين، ويُحِبُّ المتَّبِعين لرسوله ﷺ، ويُحِبُّ المجاهدين في سبيله ، ويُحِبُّ التوابين والمتطهِّرين.

(٣) إثبات المحبة مِن الجانبين: جانب العبد وجانب الربِّ- سبحانه وتعالى-. ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾. ففي ذلك: الردُّ على مَن نفى المحبة مِن الجانبين؛ كالجهمية والمعتزلة؛ فقالوا: لا يُحِبُّ ولا يُحَبُّ، وأوَّلوا محبة العباد لله-تعالى- بمعنى : محبتهم عبادته وطاعته . ومحبته للعباد بمعنى : إحسانه إليهم وإثابتهم ونحو ذلك.

وهذا تأويلٌ باطلٌ؛ لأن مودَّته ومحبَّته - سبحانه وتعالى - لعباده على حقيقتهما - كما يليق بجلاله - كسائر صفاته، ليستا كمودة ومحبة المخلوق.

الفصل السابع
إثبات اتِّصافه بالرحمة والمغفرة سبحانه وتعالى

قال رحمه الله :

وقوله : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٣].

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧] .

﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف :٦٤].

قوله : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾.

تقدَّم تفسيرها في أول الكتاب. ومناسبة ذكرها هنا :

أنَّ فيها إثبات الرحمة لله- تعالى- صفةً من صفاته، كما في الآيات المذكورة بعدها.

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله- :((﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ دالٌّ على الصِّفة القائمة به - سبحانه وتعالى-، و﴿الرَّحِيمِ﴾ دالٌّ على تعلُّقها بالمرحوم؛ كما قال تعالى : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ .

ولم يجيء قَطُّ : رحمنٌ بهم، وكان الأول للوصف، والثاني للفعل . فالأول دالٌّ على أنَّ الرحمة وَصْفُه، والثاني دالٌّ على أنه يرحم خلقه برحمتــه)) ا . هـ.

قوله- تعالى-: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾.

هذا حكايةٌ عن الملائكة الذين يحملون العرش ومَنْ حوله؛ أنهم يستغفرون للذين آمنوا فيقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ أي: وَسِعَتْ رحمتُك وعلمُك كلَّ شيءٍ، فـ ﴿رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾: منصوبان على التمييز المحوَّل عن الفاعل.

يستفاد من الآية :

الدليل على سعة رحمة الله- تعالى- وشمولها. فما مِنْ مسلمٍ ولا كافرٍ إلا وقد نالته رحمة الله في الدنيا وأما في الآخرة فتختصُّ بالمؤمنين.

وقوله- تعالى- : ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ هذا إخبارٌ مِن الله- سبحانه - أنه رحيمٌ بالمؤمنين يرحمهم في الدنيا والآخرة ؛ أما في الدنيا فإنه هداهم إلى الحقِّ الذي جهله غيرهم، وبصَّرهم الطريق الذي ضلَّ عنه غيرهم. وأما رحمته بهم في الآخرة فآمنهم مِن الفزع الأكبر ويُدخِلهم الجنة.

وقوله- تعالى- : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ أي : أوجبها على نفسه الكريمة تفضُّلاً منه وإحساناً، وهذه الكتابة: كونيةٌ قدريةٌ لم يوجبها عليه أحدٌ.

وقوله - تعالى - : ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ يخبر- سبحانه وتعالى - عن نفسه أنه متَّصِفٌ بالمغفرة والرحمة لمن تاب إليه وتوكَّل عليه ؛ ولو مِنْ أيِّ ذنبٍ كان ؛ كالشرك فإنه يتوب عليه ويغفر له ويرحمه.

وقوله تعالى : ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ معنى الآية : هذا مما حكاه الله- سبحانه وتعالى - عن نبيه يعقوب- عليه السلام- حينما طلب منه بنوه أن يرسل معهم أخاهم. وتعهَّدوا بحفظه. فقال لهم : إنَّ حِفْظَ الله - تعالى - له خيرٌ مِنْ حِفظكم. وهذا تفويضٌ من يعقوب إلى الله-تعالى- في حِفظ ابنه. ومن أسمائه تعالى: (الحفيظ) الذي يحفظ عباده بحفظه العامِّ مِن الهلاك والعَطب، ويحفظ عليهم أعمالهم. ويحفظ عباده المؤمنين بحفظه الخاص عما يفسد إيمانهم وعما يضرُّهم في دينهم ودنياهم.

الشاهد من الآيات الكريمة:

(١) أنَّ فيها وَصْفَ الله- سبحانه وتعالى- بالرحمة والمغفرة على ما يليق بجلاله كسائر صفاته.

(٢) وفيها الردُّ على: الجهمية والمعتزلة ونحوهم؛ ممن ينفون عن الله- سبحانه وتعالى - اتِّصافه بالرحمة والمغفرة فِراراً من التشبيه بزعمهم - قالوا : لأن المخلوق يوصف بالرحمة - وتأوَّلوا هذه الآيات على المجاز، وهذا باطلٌ؛ لأن الله- سبحانه وتعالى - أثبت لنفسه هذه الصِّفة. ورحمتُه- سبحانه- ليست كرحمة المخلوق حتى يلزم التشبيه كما يزعمون. فإنَّ الله- تعالى- : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾. والاتفاق في الاسم لا يقتضي الاتفاق في المسمَّى ؛ فللخالق- سبحانه وتعالى- صفاتٌ تليق به وتختصُّ به، وللمخلوق صفاتٌ تليق به وتختصُّ به. والله أعلم.

الفصل الثامن

ذكر رضا الله ﷻ، وغضبه، وسخطه، وكراهيته، في القرآن الكريم، وأنه متَّصفٌ بذلك

قال رحمه الله :

وقوله تعالى: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة : ١١٩] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] .

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد:٢٨] .

وقوله تعالى:﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ [التوبة:٤٦] .

وقوله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] .

قوله تعالى : ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ أي : رضي عنهم بما عملوه من الطاعات الخالصة له، ورضوا عنه بما جازاهم به من النعيم. والرضا منه- سبحانه وتعالى- هو أرفع درجات النعيم، قال تعالى : ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

ورضاهم عنه هو: رضا كُلٍّ منهم بمنزلته حتى يظن أنه لم يُؤتَ أحدٌ خيراً مما أوتي.

وقوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ احترز بقوله : ﴿مُؤْمِنًا﴾ عن قتل الكافر. وبقوله: ﴿مُّتَعَمِّدًا﴾ عن قتل الخطأ. والمتعمِّد هو: الذي يقصد مَنْ يعلمه آدميًا معصومًا فيقتله بما يغلب على الظن موته به.

وقوله تعالى : ﴿فَجَزَآؤُهُۥ﴾ أي : عقابه في الآخرة.

قوله تعالى : ﴿جَهَنَّمُ﴾ : طبقةً مِنْ طبقات النار.

قوله تعالى : ﴿خَٰلِدًا فِيهَا﴾ أي : مُقيماً في جهنم، والخلود هو: المكث الطويل.

قوله تعالى : ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ معطوفٌ على مقدَّر دلَّ عليه السِّياق؛ أي: جعل جزاءه جهنم وغضب عليه.

قوله تعالى : ﴿وَلَعَنَهُۥ﴾ أي : طرده عن رحمته، واللعن هو: الطرد والإبعاد عن رحمة الله تعالى.

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ﴾ أي : ما ذُكِر في الآية قبلها؛ مِنْ شِدَّة تَوفِّي الملائكةِ للكفار؛ مِنْ أجْلِ أنهم ﴿ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ مِن الانهماك في المعاصي والشهوات المحرَّمة، ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي: كرهوا ما يرضيه من الإيمان والأعمال الصالحة.

وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا﴾ أي : أغضبونا، ﴿ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: عاقبناهم، والانتقام هو: أشدُّ العقوبة.

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ أي: أبغض الله-تعالى- خروجهم معكم للغزو، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾ أي : حبَسَهم عن الخروج معك، وخَذَّلَهم قضاءً وقدراً ، وإن كان قد أمَرَهُم بالغزو شَرعاً، وأقدرَهم عليه حِسّاً ، لكنه لم يُعِنْهم عليه؛ لحكمةٍ يعلمها . وقد بيَّنها في الآية التي بعدها في قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ الآية .

وقوله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ أي : عَظُمَ ذلك المقت؛ وهو: البُغض. و﴿مَقْتًا﴾ منصوبٌ على التمييز. ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي : أن تَعِدُوا مِنْ أنفسكم خيرًا ثم لا تَفُوا بما وعدتم.

وقد ورد في سبب نزول هذه الآية: أنَّ ناساً من المؤمنين قبل أن يُفرَض الجهاد يقولون : وددنا لو أنَّ الله – عز وجل-أخبرنا بأحَبِّ الأعمال فنعمل به، فأخبر الله نبيه ﷺ أنَّ أحَبَّ الأعمال: إيمانٌ بالله

لا شَكَّ فيه ، وجهادُ أهلِ معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يُقِرُّوا به. فلما نزل الجهادُ كَرِهَ ذلك أناسٌ من المؤمنين وشَقَّ عليهم أمرُه . فقال الله- سبحانه-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ .

الشاهد من الآيات :

أنَّ فيها وَصْفَ الله- سبحانه وتعالى -: بالغضب والرضا واللعن والانتقام والكراهية والأسف والمقت؛ وهذه كلُّها من: صفات الأفعال؛ التي يفعلها- جَلَّ وعَلا- متى شاء إذا شاء كيف يشاء . وأهل السُّنة يُثبتون ذلك لله- سبحانه وتعالى - كما أثبته لنفسه على ما يليق بجلاله .

أسئلة

س١ - لماذا سُمِّيَت سورةُ الإخلاص بهذا الاسم؟ وما الدَّليل على أنها تعدل ثلث القرآن؟ ولِمَ كانت كذلك؟

س٢- لماذا كانت آية الكرسي أعظم آيةٍ؟ ولِمَ سُمِّيَت بآية الكرسي؟ واذكر دليلاً على فضلها، وماذا تعرف مِن المَواطِن التي تُشرع قراءتها فيها؟

س٣ - املأ الفراغ بالكلمة المناسبة :

أ - علو الله- تبارك وتعالى - يشمل علو ..... وعلو ..... وعلو .....

ب - في اسمه- تبارك وتعالى - : الأول والآخر إحاطته ..... وفي اسمه ..... و..... إحاطته ..... .

ج - لاسمه- تبارك وتعالى – (الحكيم) معنيان : أحدهما أنه ..... بأمره ..... وأمره ..... في الدنيا والآخرة ، والثاني أنه ..... مأخوذٌ من ..... وهي : ..... .

د - مفاتح الغيب خمسٌ لا يعلمهن إلا الله- سبحانه تعالى- وهي :

..... و..... و ..... و ..... و ..... .

هـ - الإرادة الربانية نوعان : إرادة ..... ، وإرادة ..... والإرادة ..... مرادفةٌ للمشيئة ، وتجتمع الإرادتان في حق ..... وتنفرد الإرادة ..... في حق .....

و - يوصف الله- تبارك وتعالى - بصفات : الغضب والرضا والانتقام، وهي من صفات ..... أي : التي يفعلها تبارك وتعالى متى شاء. إذا شاء كيف يشاء .

س٤ – ما الفرق بين التوبة في قوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ وقوله: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾الآية؟

س٥– ما السِّر في اقتران اسمَي: (الغفور، والودود) في قوله تعالى :﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾ ؟

س٦ – استدِل بدليلٍ من القرآن الكريم على ثبوت هذه الصفات لله– تبارك وتعالى –:

(الرحمة ، الغضب ، السخط، الأسف ، الكره ، محبته لأوليائه) .

س٧ – اذكر معاني الكلمات الآتية : الصَّمد ، كرسيه ، ولايؤوده ، الودود، آسفونا ، كره الله انبعاثهم.

س٨ – ما أثر معرفة المسلم لصفة السمع والبصر لله– تبارك وتعالى – على عمله وسلوكه؟

الفصل التاسع

ذكر مجيء الله ﷻ لفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله

وقوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [البقرة:٢١٠] .

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨] .

﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢١، ٢٢] .

﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥] .

قوله- تعالى -: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ ﴾ هذا تهديدٌ للكفار التاركين للدخول في السِّلم؛ أي : الإسلام، المتَّبِعين لخطوات الشيطان . ﴿ يَنظُرُونَ ﴾ أي: ينتظرون، يقال: نظرته وانتظرته بمعنىً واحدٍ ، ﴿ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ بذاته- سبحانه وتعالى- لفصل القضاء بينهم يوم القيامة، فيجازي كلَّ عاملٍ بعمله.

قوله-تعالى-: ﴿ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ الظُّلَل جمع ظُلَّةٍ وهي: ما يُظَلِّلُك. والغمام: السَّحاب الرقيق الأبيض، سُمِّي بذلك؛ لأنه يَغُم، أي: يَستُر ، ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي: والملائكة يجيؤون في ظُلَلٍ من الغمام، ﴿ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ﴾ أي : فُرِغ من الأمر الذي هو إهلاكهم.

وقوله- تعالى-: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ أي: لقبض أرواحهم، ﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾ أي : بذاته- سبحانه وتعالى- لفصل القضاء بين العباد، ﴿ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ وهو طلوع الشمس من مغربها، وذلك أحد أشراط الساعة الكبار، إذا وقع أُغلِق باب التوبة فلا تُقبل .

وقوله: ﴿ كَلَّآ ﴾ حرف ردعٍ وزجرٍ عما ذُكِر قبلها، أي : ما هكذا ينبغي أن يكون عملُكم مِنْ عَدَمِ إكرام اليتيم، وعدمِ الحضِّ على طعام المسكين، وأكلِ التراث، وحُبِّ المال بكثرةٍ شديدةٍ ، ﴿ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴾ أي : زُلزِلت وحُرِّكت تحريكاً بعد تحريكٍ حتى انهدم كلُّ ما عليها مِنْ بناءٍ وعاد هباءً مُنبَثّاً،

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ بذاته- سبحانه وتعالى- لفصل القضاء بين عباده ، ﴿ وَٱلْمَلَكُ ﴾ أي: جنس الملائكة، ﴿ صَفًّا صَفًّا ﴾ منصوبٌ على الحال؛ أي : مصطفِّين صفاً بعد صفٍ ، قد أحدقوا بالجن والإنس . كلُّ أهلِ سَماءٍ يكونون صَفّاً واحداً محيطين بالأرض ومَنْ فيها؛ فيكونون سبعة صفوف.

وقوله- تعالى- : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ ﴾ أي : تنفطر وتنفرج السَّماء يوم القيامة، ﴿ بِٱلْغَمَٰمِ ﴾ الذي هو ظُلَلِ النور العظيم الذي يُبهِر الأبصار، ﴿ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ إلى الأرض فيحيطون بالخلائق في مقام المحشر، ثم يجيء الربُّ - سبحانه وتعالى - لفصل القضاء بين عباده .

الشاهد من الآيات :

أنها أفادت إثبات المجيء والإتيان لله – سبحانه وتعالى - يوم القيامة بذاته على ما يليق بجلاله؛ لفصل القضاء بين عباده. ومجيؤه وإتيانه – سبحانه وتعالى - مِنْ صفاته الفعلية يجب إثباتها على حقيقتها. ولا يجوز تأويلُها بمجيءِ أو إتيانِ أمرِه؛ كما يفعله نفاةُ الصِّفات ، فيقولون : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أي جاء أمره؛ وهذا مِنْ تحريف آيات الله تعالى .

قال الإمام ابن القيم- رحمه الله-:((والإتيان والمجيء المضاف إليه – سبحانه وتعالى- **نوعان: مطلَقٌ، ومقيَّدٌ .**

النوع الأول : الإتيان والمجيء المقَيَّد، فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك، قُيِّد بذلك؛ كما في الحديث : **"حتى جاء الله بالرَّحمة والخير"**، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ﴾[الأعراف:٥٢].

النوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلَق، فهذا لا يكون إلا مجيؤه -سبحانه وتعالى-؛ كقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ ، وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾))إ . هـ .

الفصل العاشر
إثبات الوجه لله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله:

وقوله تعالى : ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] .

قوله- تعالى -: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾: هذه الآية جاءت بعد قوله- تعالى-: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾.

المعنى الإجمالي للآية :

يخبر- سبحانه وتعالى - أنَّ جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون ولا يبقى أحدٌ سِوَى وجهه الكريم؛ فإنَّ الربَّ - سبحانه- لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً، ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ أي: العَظَمَة والكِبرياء، ﴿وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: المُكْرِم لأنبيائه وعباده الصالحين ، وقيل : المستحق أن يُكَرَّم عن كلِّ شيءٍ لا يليق به.

وقوله - تعالى- : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أي: كلُّ مَنْ في السَّماء ومَنْ في الأرض سيذهبون ويموتون، ﴿إِلَّا وَجْهَهُ﴾ منصوبٌ على الاستثناء، وهذا إخبارٌ بأنه- سبحانه وتعالى - الدائم الباقي الذي تموت الخلائق ولا يموت.

الشاهد من الآيتين :

أنَّ فيهما إثباتَ الوجه لله- سبحانه وتعالى - وهو مِنْ صفاته الذاتية، فهو وجهٌ على حقيقته يليق بجلاله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ، لا كما يزعم معطلة الصفات أنَّ الوجه ليس على حقيقته؛ وزعموا أنَّ المراد به الذَّات أو الثواب أو الجهة أو غير ذلك، **وهذه تأويلاتٌ باطلةٌ مِنْ وجوه:**

(١) أنه جاء عطف الوجه على الذَّات؛ كما في الحديث: "أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم" والعطف يقتضي المغايرة.

(٢) أنه أضاف الوجه إلى الذَّات، فقال: ﴿وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ووَصَفَ الوجه بقوله: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾، فلو كان الوجه هو الذَّات لكان لفظ الوجه في الآية: صِلَةً، ولقال: ذي الجلال والإكرام؛ فلما قال: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ تبيَّن أنه وصفٌ للوجه لا للذَّات وأنَّ الوجه صفةٌ للذَّات.

(٣) أنه لا يُعرَف في لغة أمةٍ من الأمم أنَّ وجه الشيء بمعنى ذاته أو الثواب. **والوجه في اللغة**: مستقبَل كلِّ شيءٍ؛ لأنه أول ما يواجَه منه. وهو في كلِّ شيءٍ بحسب ما يضاف إليه.

الفصل الحادي عشر

إثبات اليدين لله ﷻ

وقوله : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] .

وقوله : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾[المائدة: ٦٤].

قوله- تعالى -: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ الخطاب لإبليس لعنه الله، لما امتنع من السجود لآدم عليه السَّلام، أي : أيُّ شيءٍ صَرَفَك وصدَّك عن السجود؟ ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أي : باشَرتُ خَلْقَه بِيَدَيَّ مِنْ غير واسطةٍ، وفي هذا تشريفٌ وتكريمٌ لآدم عليه السَّلام.

قوله- تعالى -: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ اليهود في الأصل مِنْ قولهم: ﴿هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾[1] وكان اسمَ مدحٍ ثم صار بعد نَسْخ شريعتهم لازماً لهم وإن لم يكن فيه معنى المدح، وقيل سُمُّوا بذلك: نسبةً إلى يهودا ابن يعقوب عليه السَّلام . ويخبر- سبحانه وتعالى - عن اليهود بأنهم وصفوه بأنه بخيلٌ، كما وصفوه بأنه فقيرٌ وهم أغنياء، لا أنهم يعنون أنَّ يده موثقة.

قوله- تعالى -: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ هذا ردٌّ عليهم من الله- تعالى - بما قالوه، ومقابَلةً لهم بما افتروه واختلقوه. وهكذا وقع لهم، فإنَّ فيهم مِن البخل والحسد الشيء الكثير، فلا ترى يهودياً إلا وهو مِنْ أبخل خلق الله.

قوله- تعالى -: ﴿وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ معطوفٌ على ما قبله، و(الباء) سببيةٌ، أي: أُبعِدوا مِنْ رحمة الله- تعالى - بسبب هذه المقالة . ثم رَدَّ عليهم- سبحانه وتعالى - بقوله تعالى : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ أي: بل هو في غاية ما يكون من الجود والعطاء فيداه مبسوطتان بذلك.

---

(١) كما حكى الله تعالى عنهم ذلك في قوله: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ الأعراف: [١٥٦].

قوله – تعالى –: ﴿يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾: جملةٌ مستأنفةٌ مؤكِّدةٌ لكمال جُودِه. فإنفاقه على ما تقتضيه مشيئته؛ فإن شاء وَسَّع وإن شاء ضَيَّق. فهو الباسط القابض على ما تقتضيه حكمته.

الشاهد من الآيتين الكريمتين:

إثبات اليدين لله – سبحانه وتعالى – ، وأنهما يدان حقيقيتان لائقتان بجلاله وعظمته، ليستا كَيَدَيْ المخلوق ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾. وفي ذلك: الردُّ على مَنْ نَفَى اليدين الحقيقيتين عن الله تعالى وزعم أنَّ المراد باليد القُدرة أو النعمة، وهذا تأويلٌ باطلٌ وتحريفٌ للقرآن الكريم.

ويُردُّ عليه بوجوهٍ؛ منها:

١- أنَّ المراد يد الذَّات، لا يد القُدرة والنعمة؛ إذ لو كان المراد باليد القُدرة كما يقولون لَبَطَلَ تخصيص آدم بخلقه بهما ؛ فإنَّ جميع المخلوقات – حتى إبليس – خُلِقَتْ بقدرته. فأيُّ مزيَّةٍ لآدم على إبليس في قوله : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾. فكان يمكن لإبليس أن يقول: وأنا خلقتني بيديك، إذا كان المراد بها القُدرة.

٢- ولو كان المراد باليد القُدرة لوجب أن يكون لله – سبحانه وتعالى – قدرتان، وقد أجمع المسلمون على بطلان ذلك.

٣- ولو كان المراد باليد النعمة لكان المعنى أنه خَلَق آدم بنعمتين، وهذا باطلٌ؛ لأن نِعَم الله كثيرةٌ لا تُحصَى وليست نعمتين فقط.

الفصل الثاني عشر
إثبات العينين لله سبحانه وتعالى

وقوله تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [الطور:٤٨] .

وقولـه تعـالى: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ ١٣ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴾ [القمـر: ١٣، ١٤]

وقوله تعالى: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه: ٣٩].

قوله– تعالى – : ﴿ وَٱصۡبِرۡ ﴾: **الصبر لغةً:** الحبس والمنع. فهو حَبْس النفس عن الجزع، وحَبْس اللسان عن التشكِّي والتسخُّط، وحَبْس الجوارح عن لَطْم الخدود وشَقِّ الجيوب. ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ ﴾ أي : لقضائه الكوني والشَّرعي. ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي : بمرأى مِنَّا وتحت حفظنا فلا تبالِ بأذى الكفَّار فإنهم لا يَصِلُون إليك.

وقوله– تعالى –: ﴿وَحَمَلۡنَٰهُ ﴾ أي: نوحاً عليه السَّلام. ﴿عَلَىٰ ذَاتِ أَلۡوَٰحٖ وَدُسُرٖ﴾ أي : على سفينةٍ ذاتِ أخشابٍ عريضةٍ ومساميرَ شُدَّت بها تلك الألواح، مفردها: دِسار.﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي : بمنظرٍ ومرأى مِنَّا وحفظٍ لها.﴿ جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي : فعلنا بنوحٍ عليه السَّلام وبقومه ما فعلنا مِنْ إنجائه وإغراقهم ثواباً لمن كُفِرَ به وجُحِدَ أمرُه؛ وهو: نوحٌ عليه السَّلام.

وقوله– تعالى –: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي ﴾ الخطاب لموسى عليه السَّلام أي : وضعتُها عليك فأحببتك وحبَّبتك إلى خلقي. ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ أي : ولِتُرَبَّى وتُغَذَّى بمرأى مني أراك وأحفظك.

الشاهد من الآيات :

أنَّ فيها إثباتَ العينين لله – سبحانه وتعالى – حقيقةً على ما يليق به سبحانه وتعالى.

وتوجيه ذلك: أنَّ القرآن نَطَق بلفظ العين مضافةً إلى الله-تعالى- مفردةً ومجموعةً، ونَطَقت السُّنة بإضافتها إليه مثنَّاةً، وقال النبي ﷺ : **"إنَّ ربكم ليس بأعور"**. أخرجه الشيخان. وذلك صريحٌ بأنه ليس المراد إثبات عينٍ واحدةٍ؛ فإنَّ ذلك عَوَرٌ ظاهرٌ، تعالى الله عنه .

ولغة العرب جاءت بإفراد المضاف وتثنيته وجمعه بحسب أحوال المضاف إليه.

فإن أضافوا الواحد المتَّصل إلى مفردٍ: أفردوه. وإن أضافوا إلى جمعٍ ظاهرٍ أو مُضْمَرٍ: فالأحسن جمعُه مُشَاكَلَةً للَّفظ؛ كقوله - سبحانه -: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ، وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾.

وإن أضافوه إلى اسمٍ مثنى: فالأفصح في لغتهم جمعُه؛ كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾. وإنما هما قلبان.

فلا يلتبس على السَّامع قولُ المتكلِّم: نراك بأعيننا ونأخذك بأيدينا ، ولا يَفهم منه بَشَرٌ على وجه الأرض عيوناً كثيرةً على وجهٍ واحدٍ، والله أعلم.

الفصل الثالث عشر

إثبات السمع والبصر لله ﷻ

قال رحمه الله:

وقوله- تعالى-: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وقوله- تعالى-: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

وقوله-تعالى-: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

وقوله-تعالى-: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء].

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

قوله- تعالى -: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى﴾ وهي خولة بنت ثعلبة رضي الله عنها.

قوله: ﴿تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ أيها النبي؛ أي: تُراجعُك الكلام في شأن ﴿زَوْجِهَا﴾ وهو أوس بن الصَّامت – رضي الله عنه – وذلك حين ظاهر منها، ﴿وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾: معطوفٌ على ﴿تُجَٰدِلُكَ﴾ وذلك أنه كلَّما قال لها رسول الله ﷺ: **"قد حَرُمتِ عليه"** قالت: والله ما ذَكَرَ طلاقاً. ثم تقول: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وأنَّ لي صِبيةً صغاراً؛ إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، وجعَلَت ترفع رأسها إلى السَّماء وتقول: اللهم إني أشكو إليك . ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ أي: تراجُعَكما

في الكلام. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ يسمع كلَّ الأصوات ويُبصِر ويرى كلَّ المخلوقات، ومِنْ جملة ذلك: ما جادَلَتْك به هذه المرأة.

وقوله- تعالى -: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ هم: قومٌ مِن اليهود؛ قالوا هذه المقالة لما أنزل الله-تعالى-: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة : ٢٤٥] .

قالوا ذلك تمويهاً على ضعفائهم ، لا أنهم يعتقدون ذلك؛ لأنهم أهل كتاب، و إنما قالوا ذلك؛ ليشكِّكوا في دين الإسلام.

وقوله- تعالى-: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ﴾ أي : ما يُسِرُّون به في أنفسهم، أو ما يتحادثون به سِرّاً في مكانٍ خالٍ، أو ما يتناجون به فيما بينهم، والنجوى: ما يتحدث به الإنسان مع رفيقه ويُخفيه عن غيره ، فردَّ الله-تعالى- عليهم بقوله ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ أي: نسمع ذلك ونعلم به، والملائكة الحَفَظَة أيضاً عندهم يكتبون جميع ما يصدر عنهم من قولٍ أو فعلٍ.

وقوله- تعالى-: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ يقول الله-تعالى- لموسى وأخيه هارون -عليهما السَّلام- لما أرسلهما إلى فرعون: إنني معكما بحفظي وكَلاءتي ونَصري لكما، أسمع كلامكما ، وكلام عدوِّكما، وأرى مكانكما ومكانه، وما يجري منكما ومنه. وهذا تعليلٌ لقوله: ﴿لَا تَخَافَآ﴾.

وقوله- تعالى -: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ يعني أبا جهل حينما نهى رسولَ الله ﷺ عن الصلاة، أي : أما عَلِمَ أنَّ الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتمَّ الجزاء، والاستفهام للتقريع والتوبيخ.

وقوله- تعالى-: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ﴾ أي: يُبصِرك، ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ للصَّلاة وَحدَك، ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ أي: ويراك إن صلَّيت في الجماعة راكعًا وساجدًا وقائمًا. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ لما تقوله، العليم به.

وقوله- تعالى -: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ﴾ أي: قل يا محمد لهؤلاء المنافقين: اعملوا ما شئتم واستمرُّوا على باطلكم ولا تحسبوا أنَّ ذلك سيخفى، ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي : ستظهر أعمالكم للناس

وتُرَى في الدنيا، ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: بعد الموت فيجازيكم على ذلك.

الشاهد من الآيات الكريمة:

أنَّ فيها وَصفَ الله – سبحانه وتعالى – بالسمع والبصر، وأنه – تعالى – يسمع ويُبصِر حقيقةً على ما يليق به مُنَزَّهٌ عن صفات المخلوقين ومماثلتهم . فالآيات صريحةٌ في إثبات السمع والبصر؛ حيث جاء فيها إثبات السمع لله– سبحانه وتعالى – بلفظ الماضي والمضارع واسم الفاعل؛ سَمِعَ ويَسمَعُ وسَميعٌ، ولا يصح في كلام العرب أن يقال لشيءٍ هو سميعٌ بصيرٌ إلا وذلك الشيء يسمع ويُبصِر. هذا هو الأصل؛ فلا يقال: جبلٌ سميعٌ بصيرٌ؛ لأن ذلك مستحيلٌ إلا لمن يسمع ويُبصِر.

الفصل الرابع عشر

إثبات المكر والكيد لله ﷻ على ما يليق به

وقوله-تعالى- : ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ [الرعد:١٣] .

وقوله-تعالى- : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٥٤] .

وقوله-تعالى- : ﴿ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل:٥٠] .

وقوله-تعالى- : ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦] .

وقوله- تعالى -: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ أي : الله- سبحانه وتعالى-، والمَحْلُ في اللغة: الشِّدَّة، أي شديد الكيد. قال الزجاج: يقال: ماحَلْتَه مِحَالاً إذا قاوَيتَه حتى يتبيَّن أيُّكما أشَدُّ. وقال ابن الأعرابي: المِحَال: المكر. فهو- سبحانه وتعالى- شديد المكرِ، وشديد الكيدِ.

والمكرُ مِن الله- سبحانه وتعالى-: إيصال المكروه إلى مَنْ يستحقه مِنْ حيث لا يشعر.

وقوله- تعالى -: ﴿ وَمَكَرُواْ ﴾ أي: الذين أحسَّ عيسى- عليه السَّلام- منهم الكفر؛ وهم: كفَّار بني إسرائيل الذين أرادوا قَتْلَ عيسى وصَلْبَه. والمكر: فعلُ شيءٍ يُراد به ضِدُّه، ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ﴾ أي : استدرجهم وجازاهم على مكرهم فألقى شَبَهَ عيسى على غيره، ورفع عيسى إليه.

قوله- تعالى-: ﴿وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ أي: أقواهم وأقدرهم على إيصال الضَّرر بمَنْ يستحقه مِنْ حيث لا يشعر ولا يحتسب.

وقوله- تعالى-: ﴿ وَمَكَرُواْ﴾ أي : الكفَّار الذين تحالفوا على قتل نبي الله صالحٍ عليه السَّلام وأهله خفيةً؛ خوفاً من أوليائه.

قوله: ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا ﴾ أي: جازيناهم بفعلهم هذا فأهلكناهم، ونجَّينا نبيَّنا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ : بمكرنا.

وقوله- تعالى-: ﴿ إِنَّهُمْ ﴾ أي : كفَّار قريشٍ.

قوله: ﴿ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴾ أي: يمكرون لإبطال ما جاء به محمدٌ ﷺ من الدِّين الحقِّ. ﴿ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ أي : أستدرجهم وأجازيهم على كيدهم فآخذهم على غِرَّةٍ وهم لا يشعرون.

الشاهد من الآيات :

أنَّ فيها وَصْفَ الله- سبحانه وتعالى- بالمكر والكيد. ونِسْبةُ ذلك إليه- سبحانه- حقيقةٌ على بابه؛ فإنَّ المكر: إيصالُ الشيء إلى الغير بطريقٍ خفيٍّ، وكذلك الكيد والمخادعة والمكر.

والكيد نوعان :

قبيحٌ؛ وهو: إيصال ذلك لمن لا يستحقه. **وحَسَنٌ؛ وهو:** إيصاله إلى من يستحقه؛ عقوبةً له.

فالأول مذمومٌ، والثاني ممدوحٌ. والربُّ - سبحانه وتعالى - إنما يفعل مِنْ ذلك ما يُحمَد عليه عدلاً منه وحكمةً . وهو- سبحانه وتعالى - يأخذ الظالم والفاجر مِنْ حيث لا يحتسب، لا كما يفعل الظلمة بعباد الله. والله أعلم .

تنبيهـــان

التنبيه الأول ـ أنَّ الله- سبحانه - لم يَصِف نفسه بالكيد والمكر والخداع إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حقٍّ. وقد عُلِمَ أنَّ المجازاة حسنةٌ مِن المخلوق، فكيف بالخالق سبحانه وتعالى؟!

التنبيه الثاني ـ أنَّ نِسبة الكيد والمكر ونحوهما إليه – سبحانه وتعالى - مِنْ إطلاق الفعل عليه تعالى، والفعلُ أوسع مِن الاسم؛ ولهذا أطلق الله – سبحانه وتعالى - على نفسه أفعالاً لم يَتَسَمَّ منها بأسماء الفاعل: كأراد وشاء، ولم يُسَمَّ بالمريد والشائي. وكذا: مكر ويمكر. وأكيد كيداً، فلا يقال: الماكر والكائد ؛ لأن مسمياتها تنقسم إلى ممدوحٍ ومذمومٍ.

الفصل الخامس عشر
وصف الله بالعفو، والمغفرة، والرَّحمة، والعِزَّة، والقُدرة

وقوله-تعالى-: ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٩].

وقوله-تعالى-: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] .

وقوله- تعالى -: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون: ٨] .

وقوله – تعالى – عن إبليس: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٢] .

قوله- تعالى -: ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا ﴾ أي : تُظهِروه.

قوله: ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ أي : فتعملوه سِرّاً.

قوله: ﴿ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ ﴾ أي: تتجاوزوا عَمَّن أساء إليكم، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ أي: عفواً عن عباده يتجاوز عنهم، قديراً على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم. فاقتدوا به- سبحانه- فإنه يعفو مع القُدرة.

وقوله- تعالى -: ﴿ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ﴾ أي : ليستر ويتجاوز أولو الفضل والسَّعة - المذكورون في أول الآية - وليصفحوا بالإعراض عن الجاني والإغماض عن جنايته.

قوله : ﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ بسبب عفوكم وصفحكم عن المسيئين إليكم، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي: كثير المغفرة، كثير الرحمة.

وقوله- تعالى -: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ هذا ردٌّ على المنافقين الذين زعموا أنَّ العِزَّة لهم على المؤمنين. **والعِزَّة هي :** القوَّة والغلبة. وهي لله-سبحانه وتعالى - وحده ولمن أفاضها عليه مِنْ رُسُلِه وصالحي عبيده لا لغيرهم.

وقوله- تعالى - عن إبليس: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ : أُقسِم بعِزَّة الله تعالى لأُضِلَّنَّ بني آدم بتزيين الشَّهوات لهم، وإدخال الشُّبهات عليهم؛ حتى يصيروا غاوين جميعاً. ثم لما عَلِمَ أنَّ كيده لا ينجح إلا في أتْباعِه مِنْ أهل الكفر والمعاصي استثنى فقال: ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ .

الشاهد من الآيات :

أنَّ فيها وَصْفَ الله- سبحانه وتعالى - بالعفو، والقُدرة، والمغفرة، والرَّحمة، والعِزَّة، وهي صفات كمالٍ تليق به تعالى.

الفصل السادس عشر
إثبات الاسم لله ﷻ ونفي المِثل عنه

قال رحمه الله:

وقوله- تعالى-: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وقوله- تعالى-: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله- تعالى-: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وقوله- تعالى-: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

وقوله-تعالى-: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقوله- تعالى -: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ **البركة لغةً:** النَّماء والزيادة – والتبريك: الدعاء بالبركة – ومعنى ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ تَعَاظَم، أو عَلا وارتفع شأنه. وهذا اللفظ لا يُطلَق إلا على الله سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ : تقدَّم تفسيره في آيات إثبات الوجه.

وقوله: ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ أي : أفرِدْه بالعبادة ولا تعبد معه غيره. **والعبادة لغةً** : الذل والخضوع. **وشَرعاً**: اسمٌ جامعٌ لما يحبه الله- تعالى - ويرضاه من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة.

قوله- تعالى -: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اثبت على عبادته ولازِمْها واصبر على مَشاقِّها.

قوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ الاستفهام للإنكار. والمعنى: أنه ليس له مِثْلٌ ولا نظيرٌ حتى يشاركه في العبادة.

وقوله- تعالى - : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ **الكفء في لغة العرب:** النظير؛ أي: ليس له نظيرٌ ولا مثيلٌ ولا شريكٌ مِنْ خَلقِه.

وقوله- تعالى -: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ **النِّدُّ في اللغة :** المثل والنظير والشبيه؛ أي: لا تتخذوا لله أمثالاً ونُظَراءَ تعبدونهم معه وتُساوونهم به في الحُبِّ والتعظيم.

وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ أنه ربكم وخالقكم وخالق كلِّ شيءٍ، وأنه لا نِدَّ له يشاركه في الخَلق.

وقوله- تعالى -: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ لما فرغ- سبحانه - مِنْ ذِكر الدليل على وحدانيته في الآية التي قبلها أخبر أنه مع هذا الدليل الظاهر المفيد لعظيم سلطانه وجليل قدرته وتفرُّده بالخلق، أخبر أنه مع ذلك قد وُجِدَ في الناس مَنْ يتخذ معه سبحانه نِدّاً يعبده مِن الأصنام العاجزة.

قوله : ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ أي : أنَّ هؤلاء الكفَّار لم يقتصروا على مجرَّد عبادة تلك الأنداد بل أحبُّوها حُبّاً عظيماً وأفرطوا في حُبِّها - كما يحبون الله تعالى - فقد سَوَّوهم بالله في المحبة لا في الخلق والرزق والتدبير.

الشاهد من الآيات :

(١) إثبات اسم الله- سبحانه وتعالى - وتعظيمه وإجلاله.

(٢) نَفِي السَّمِي والكُفْءِ والنِّد عن الله – سبحانه وتعالى - وهو نفيٌ مُجمَلٌ، وهذه هي الطريقة الواردة في الكتاب والسُّنة فيما يُنفَى عن الله- سبحانه وتعالى - وهي أن يُنفَى عن الله- عز وجل - كلُّ ما يضاد كمالَه الواجب مِنْ أنواع العيوب والنقائص.

الفصل السابع عشر
نفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى

قال رحمه الله :

وقول الله – تعالى –: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١] .

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[التغابن: ١].

﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان: ١، ٢] .

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[المؤمنون: ٩١، ٩٢].

﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٧٤] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ الحمد هو الثناء و(أل) فيه للاستغراق أي: الحمد كلُّه لله تعالى.

قولـه: ﴿ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾ أي : لـيس لـه ولـدٌ ؛ كـما تقولـه اليهـود، والنصـارى، وبعـض مشركي العرب.

قوله: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ ﴾ أي : ليس له مشاركٌ في مُلكِه وربوبيته ؛ كما تقول الثَّنوية، ونحوهم ممن يقول بتعدُّد الآلهة.

قوله : ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ﴾ أي: ليس بذليلٍ فيحتاج إلى أن يكون له وليٌّ أو وزيرٌ أو مشيرٌ. فلا يُحالِف أحداً ولا يستنصر بأحدٍ سبحانه وتعالى .

قوله: ﴿ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ أي : عظِّمه وأجِلَّه عما يقوله الظالمون.

وقوله : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي : تُنزِّهه جميع مخلوقاته التي في سماواته وأرضه عن كل نقصٍ وعيبٍ.

قوله- تعالى - : ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ﴾ يختصَّان به، ليس لغيره منهما شيءٌ، وما كان لعباده من الملكية فهو مِنْ عطائه سبحانه وتعالى.

وقوله- تعالى -: ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أي: لا يُعجزه شيءٌ.

وقوله- تعالى -: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ تبارك : فعلٌ ماضٍ مأخوذٌ من البركة؛ وهي: النَّماء والزيادة المستقِرَّة الثابتة الدائمة، وهذه اللفظة لا تستعمل إلا لله- سبحانه وتعالى - ولا تستعمل إلا بلفظ الماضي، والفُرقان هو : القرآن، سُمِّي فُرقاناً؛ لأنه يُفرِّق بين الحقِّ والباطل.

قوله: ﴿ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ ﴾ يعني محمداً ﷺ وهذه صيغة مدحٍ وثناءٍ ؛ لأنه أضافه إليه إضافة تشريفٍ وتكريمٍ في مقام إنزال القرآن عليه ؛ ﴿ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ ﴾ الإنس والجن ، وهذا من خصوصياته ﷺ؛ ﴿ لِيَكُونَ ﴾ تعليلٌ لإنزال الفُرقان عليه؛ أي : ليخصَّه بالرسالة العامة، ﴿ نَذِيرًا ﴾ أي: منذِراً ؛ مأخوذٌ من الإنذار وهو: الإعلام بأسباب المخافة .

ثم وَصَفَ نفسه - سبحانه وتعالى- بأربع صفات:

الصفة الأولى : قوله: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ دون غيره؛ فهو المتصرِّف فيهما وحده.

الصفة الثانية : قوله: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ كما تزعم النصارى واليهود؛ وذلك لكمال غناه وحاجة كلِّ مخلوقٍ إليه سبحانه وتعالى .

الصفة الثالثة : قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ﴾ فيه ردٌّ على طوائف المشركين؛ مِن الوثنية والثَّنَوية وغيرهم.

الصفة الرابعة : قوله: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ مِن المخلوقات، ويدخل في ذلك أفعال العباد؛ فهي خلق الله- سبحانه وتعالى -، وفعل العبد.

قوله : ﴿فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ أي : قدَّر كلَّ شيءٍ مما خلق؛ مِن: الآجال والأرزاق والسعادة والشقاوة وهيأ كلَّ شيءٍ لما يصلح له.

قال ابن كثير- رحمه الله -: ((نَزَّه نفسه عن الولد وعن الشريك، ثم أخبر أنه خَلَق كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً، أي: كلُّ شيءٍ مما سواه مخلوقٌ مربوبٌ. وهو خالقُ كلِّ شيءٍ وربُّه ومليكُه وإلهُه، وكلُّ شيءٍ تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره)) إ ـ هـ

وقوله- تعالى -: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ﴾ :

في هذه الآية يُنزِّه – تعالى – نفسه عن أن يكون له ولدٌ أو شريكٌ في المُلْك والتصرُّف والعبادة و﴿مِن﴾ في الموضعين: لتأكيد النفي.

قوله : ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾: هذا استدلال لما سبق في أول الآية مِنْ نفي الولد والشريك في الألوهية، أي: لو قُدِّر تعدُّد الآلهة لانفرد كلٌّ منهم عن الآخر بما خَلَق؛ وحينئذٍ لا ينتظم الكون؛ لوجود الانقسام. والواقع المشاهَد أنَّ الكون منتظمٌ أتمَّ انتظامٍ لم يحصل فيه تعدُّدٌ ولا انقسامٌ.

قوله : ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ أي : ولو كان معه إلهٌ آخر لكان كلٌّ منهم يطلب قهر الآخر ومخالفته فيعلو بعضهم على بعضٍ ؛ كحال ملوك الدنيا. وحينئذٍ فذلك المغلوب الضعيف لا يستحق أن يكون إلهاً.

وإذا تقرَّر بطلان المشارِك تعيَّن أن يكون الإله واحداً هو الله- سبحانه وتعالى - وحده، ولهذا قال: ﴿ سُبْحَانَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ : مِن الشَّريك والولد.

قوله: ﴿ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ أي : هو المختصُّ بِعلْمِ ما غاب عن العباد وعِلْمِ ما يشاهدونه. وأما غيره فهو وإن عَلِمَ شيئًا مِن المُشاهَد فإنه لا يَعلم الغيب.

قوله: ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ أي: تَنزَّه الله وتقدَّس عما يشركون به فهو- سبحانه وتعالى- متعالٍ عن أن يكون له شريكٌ في المُلك .

وقوله- تعالى - : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

ينهى- سبحانه وتعالى - عن ضربِ الأمثال له، وضربُ المثل هو: تشبيه حالٍ بحالٍ. وكان المشركون يقولون: إنَّ الله أجَلُّ مِنْ أن يَعبده الواحد مِنَّا فلا بُدَّ مِنْ اتِّخاذ واسطةٍ بيننا وبينه. فكانوا يتوسَّلون إليه بالأصنام وغيرها؛ تشبيهاً له بملوك الدنيا ، فنهى- سبحانه وتعالى - عن ذلك ؛ لأنه – سبحانه - لا مِثل له. فلا يُمَثَّل بخلقه ولا يُشَبَّه بهم . فبيَّن أنَّ فِعلَهم هذا صَدَرَ عن توهُّمٍ فاسدٍ ، وخاطِرٍ باطِلٍ. ولا يعلمون أيضاً ما في عبادة الأصنام مِنْ سوء العاقبة.

وقوله- تعالى - : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ الآية.

قوله : ﴿ قُلْ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ، وفي ذلك دليلٌ على أنَّ القرآن كلام الله- عزَّ وجلَّ - وأنَّ النبي ﷺ مبلِّغٌ عن الله تعالى.

قوله: ﴿ إِنَّمَا ﴾ : أداة حصر.

قوله: ﴿حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ أي : جَعَلَها حرامًا . والفواحش: جمع فاحشةٍ؛ وهي: ما تناهَى قُبحه من المعاصي.

قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي : ما أُعلِنَ منها وما أُسِرَّ.

قوله: ﴿وَٱلْإِثْمَ﴾ كلُّ معصيةٍ يتسبَّب عنها الإثم . وقيل هو: الخمر خاصَّة.

قوله: ﴿وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ أي: الظلم المجاوز للحد والتعدِّي على الناس .

قوله : ﴿وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ أي : تجعلوا له شريكًا في العبادة.

قوله : ﴿مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ أي: حُجَّةً وبرهانًا . وهذا موضع الشَّاهد من الآية.

قوله: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ مِن الافتراء والكذب؛ مِنْ دعوَى: أنَّ له ولداً ونحو ذلك مما لا عِلْمَ لكم به . ومثل: ما كانوا يَنسِبون إليه من التحليلات والتحريمات التي لم يأذن بها.

الشاهد من الآيات الكريمة:

أنَّ فيها نفيَ الشَّريك عن الله- سبحانه وتعالى - وإثبات تفرُّده بالكمال، ونفي الولد والمِثل عنه – سبحانه وتعالى –، وأنَّ جميع مخلوقاته تُنزِّهه عن ذلك وتُقدِّسه . كما أنَّ فيها إقامة الحُجَّة على بطلان الشِّرك وأنه مبنيٌّ على جهلٍ وخيالٍ . وأنه- سبحانه وتعالى - لا مِثل له ولا شبيه له. والله أعلم.

الفصل الثامن عشر

إثبات استواء الله ﷻ على عرشه

قال رحمه الله:

وقوله- تعالى - : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾.

في سبعة مواضع :

في سورة الأعراف قوله- تعالى -: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[آية: ٥٤] .

وقال في سورة يونس- عليه السَّلام- : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [آية: ٣] .

وقال في سورة الرَّعد : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [آية: ٢].

وقال في سورة طه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [آية: ٥].

وقال في سورة الفرقان: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾[آية: ٥٩].

وقال في سورة الم السَّجدة : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [آية: ٤].

وقال في سورة الحديد :﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[آية:٤].

قوله : (في سبعة مواضع) أي : قد ورد إثبات استواء الله-تعالى- على عرشه في سبع آياتٍ من كتاب الله، كلُّها قد ورد فيها إثبات الاستواء بلفظٍ واحدٍ؛ هو: ﴿ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ فهو نَصٌّ في

معناه الحقيقي، لا يحتمل التأويل بمعنىً آخر. والاستواء صفةٌ فعليةٌ ثابتةٌ لله- سبحانه وتعالى - على ما يليق بجلاله؛ كسائر صفاته.

للاستواء في لغة العرب أربعة معانٍ، هي:

[عَلا. وارتفع. وصعَد. واستقرَّ] ، وهذه المعاني الأربعة تدور عليها تفاسير السَّلف للاستواء الوارد في هذه الآيات الكريمة.

فقوله في الآية الأولى والثانية: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي: هو خالقكم ومُرَبِّيكم بِنِعَمِه والذي يجب عليكم أن تعبدوه وحده.

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ أي : هو خالق العالَم؛ سماواته وأرضه وما بين ذلك ﴿فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ هي: الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة. ففي يوم الجمعة اجتمع الخلق كلُّه، وفيه خُلِقَ آدم عليه السَّلام.

قوله- تعالى - : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ أي : عَلا وارتفع على العرش كما يليق بجلاله، وهذا محلُّ الشاهد من الآية.

والعرش في اللغة هو: سرير الملك. **والمراد به هنا** - كما يدلُّ عليه مجموع النصوص-: سريرٌ ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو كالقبة على العالم، وهو سقف المخلوقات.

وقوله في الآية الثالثة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ أي : رفعها عن الأرض رفعاً بعيداً لا يُنال ولا يُدرك مداه.

قوله: ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾ العَمَد هي: الأساطين؛ جمع عِماد؛ أي : قائمةٌ بغير عَمَدٍ تعتمد عليها بل بقدرته سبحانه وتعالى.

وقوله: ﴿تَرَوْنَهَا ﴾ تأكيدٌ لنفي العَمَد، وقيل: لها عَمَدٌ ولكن لا نراها، والأول أصح.

قوله : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ هذا محلُّ الشَّاهد من الآية الكريمة لإثبات الاستواء. والكلام على بقية الآيات كالكلام على هذه الآية.

ويستفاد من الآيات جميعاً :

١- إثبات استواء الله- سبحانه وتعالى - على عرشه على ما يليق بجلاله.

٢- الردُّ على من أَوَّلَ الاستواء بأنه الاستيلاء والقهر، وفسَّر العرش بأنه المُلْك؛ فقال استوى على العرش معناه : استولى على المُلْك وقَهَرَ غيره. **وهذا باطلٌ من وجوهٍ كثيرةٍ؛ منها:**

أولاً : أنَّ هذا تفسيرٌ مُحْدَثٌ مخالِفٌ لتفسير السَّلف؛ مِن الصحابة والتابعين وأتباعهم – رضي الله عنهم – وأول من قال به: الجهمية والمعتزلة، فهو مردود.

ثانياً : لو كان المراد بالاستواء على العرش الاستيلاء على المُلْك: لم يكن هناك فرقٌ بين العرش والأرض السابعة السُّفلَى والدواب وجميع المخلوقات؛ لأن الله- سبحانه وتعالى - مستولٍ على الجميع ومالكٌ للجميع. فلا يكون لِذكر العرش فائدةٌ.

ثالثاً : أنَّ هذا اللفظ ﴿ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ قد اطَّرد في الكتاب والسُّنة ولم يأتِ في لفظٍ واحدٍ - استولى على العرش - حتى تُفَسَّر به بقية النصوص.

رابعاً : أنه أتى بـ ﴿ ثُمَّ ﴾ التي تفيد الترتيب والمُهلة. فلو كان معنى الاستواء الاستيلاء على العرش والقُدرة عليه لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السَّموات والأرض. فإنَّ العرش كان موجودًا قبل خلق السَّموات والأرض بخمسين ألف سنة - كما ثبت في الصحيحين - فكيف يجوز أن يكون غير قادرٍ ولا مستولٍ عليه إلى أن خلق السَّموات والأرض؟ هذا مِنْ أبطل الباطل.

والله أعلم.

أسئلة

س١- قال الله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ، وقال حذيفة للنبي ﷺ : **"كنَّا في جاهليةٍ وشَرٍّ فجاء الله بهذا الخير"**، ما الفرق بين المجيء المذكور في الآية، والمجيء المذكور في الحديث؟.

س٢- استدِل بدليلٍ من القرآن الكريم على إثبات الصفات الآتية لله- تبارك وتعالى - : (الوجه، السمع والبصر، المكر والكيد، العِزَّة والقُدرة).

س٣- دلَّ قوله- تعالى -: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ على إبطال تأويل اليد بالقُدرة والنعمة من ثلاثة أوجهٍ، اذكرها.

س٤- أكمل الفراغ فيما يأتي:

ورد في القرآن لفظ (العين) مضافةً إلى الله- سبحانه وتعالى- مرَّةً ..... ومرَّةً .....

كما ورد في السُّنة مضافةً إليه ..... وهذا يدلُّ على أنه ليس المراد ..... .

س٥- لا يقال لله- تبارك وتعالى -: (الماكر والكائد) ، مع أنه ورد قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴾ وضِّح ذلك.

س٦- بيِّن معاني المفردات الآتية : (ذو الجلال ، مبسوطتان، يُنفِق كيف يشاء، بأعيُننا، محبةً منِّي، عَفُوّاً قديراً، العِزَّة، رحيم، تبارك) .

س٧- ورد إثبات استواء الله - سبحانه وتعالى- على عرشه في القرآن في : (١٠ مواضع ، ٩ مواضع، ٧ مواضع) ، اختر الإجابة الصحيحة.

س٨- للاستواء في لغة العرب أربعة معانٍ، تدور عليها تفاسير السَّلف، وهي: ..... و..... و..... و.....

الفصل التاسع عشر
إثبات علو الله ﷻ على مخلوقاته

وقوله- تعالى - :﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] .

وقوله- تعالى - :﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: ١٥٨] .

وقوله- تعالى - :﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠] .

وقوله- تعالى - :﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحًا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ [غافر: ٣٦، ٣٧] .

وقوله- تعالى - :﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧] .

قوله- تعالى-:﴿يَٰعِيسَىٰٓ﴾ خطابٌ من الله- تبارك وتعالى- لعيسى بن مريم- عليه الصَّلاة والسَّلام -، ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ الذي عليه الأكثر أنَّ المراد بالوفاة هنا: النوم، كما قال- تعالى - :﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ [الأنعام: ٦٠]،وقال تعالى :﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] .

قوله- تعالى -: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ أي : رفعه الله-تعالى - إليه في السَّماء وهو حيٌّ ، وهذا محلُّ الشاهد من الآية وهو إثبات العلو لله- سبحانه وتعالى -؛ لأن الرفع يكون إلى أعلى.

وقوله- تعالى -: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ أي: رفع الله- سبحانه وتعالى – المسيح- عليه السَّلام- إليه وهو حيٌّ لم يُقتل، وهذا محلُّ الشاهد؛ لأن فيه إثبات علو الله- تعالى - على خلقه؛ لأن الرفع يكون إلى أعلى. وهذا ردٌّ على اليهود الذين يَدَّعون أنهم قتلوا المسيح عيسى بن مريم- عليه السَّلام- **فقال تعالى:** ﴿وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡ...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾ [النساء: ١٥٧] ٠

وقوله- تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ أي : إلى الله- سبحانه - لا إلى غيره يرتفع الذِّكر والتلاوة والدعاء، ﴿وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ أي : العمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛ فإن الكلم الطيب لا يُقبل إلا مع العمل الصالح؛ فمَنْ ذَكَرَ الله- تعالى - ولم يؤدِّ فرائضه رُدَّ كلامُه. قال إياس ابن معاوية: (لولا العمل الصالح لم يُرفع الكلام). وقال الحسن وقتادة: (لا يُقبل قولٌ إلا بعمل).

والشاهد من الآية:

أنَّ فيها إثباتَ علو الله- تعالى - على خلقه؛ لأن الصعود والرفع يكونان إلى أعلى.

وقوله- تعالى -: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا﴾ هذا من مقولة فرعون لوزيره هامان؛ يأمره أن يبني له قصرًا منيفاً عاليًا. ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝٣٦ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: طرق السَّموات أو أبوابها، ﴿فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾: بنصب ﴿فَأَطَّلِعَ﴾ بـ(أنْ) مضمرةً بعد (فاء) السَّببية، ومعنى مقالته هذه : تكذيب موسى- عليه السَّلام - في أنَّ الله- تعالى - أرسله، أو أنَّ له إلهاً في السَّماء؛ ولذلك **قال:** ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ أي : فيما يدَّعيه من الرسالة، أو فيما يدَّعيه بأنَّ له إلهاً في السَّماء.

والشاهد من الآية:

أنَّ فيها إثباتَ علو الله- تعالى - على خلقه؛ حيث إنَّ موسى- عليه السَّلام - أخبر بذلك وجادل فرعون في تكذيبه.

وقوله- تعالى-: ﴿ءَأَمِنتُم﴾ الأمن ضد الخوف، ﴿مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ أي: عقوبة مَنْ في السَّماء وهو الله سبحانه، ومعنى في السَّماء أي: على السَّماء؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١].

وهذا إن أريدَ بالسَّماء السَّماء المبنيَّة، وإن أريدَ بالسَّماء مطلق العلو: فـ (في) للظرفية، أي: في العلو.

قولـــه: ﴿أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ﴾ أي : يقلعهـــا بكـــم؛ كـــما فُعِـــل بقـــارون، ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أي : تضطرب وتتحرك.

قوله : ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: حجارةً مِن السَّماء كما أرسلها على قوم لوطٍ وأصحاب الفيل، وقيل: سحابٌ فيها حجارةٌ، وقيل: ريحٌ فيها حجارةٌ.

قوله : ﴿فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ﴾ أي: إنذاري إذا عاينتم العذاب ، ولا ينفعكم حينذاك هذا العلم.

والشاهد من الآيتين:

أنَّ فيهما إثباتَ علو الله- تعالى - على خلقه حيث صرَّحَتَا أنه- سبحانه وتعالى - في السَّماء، فقد دلَّت هذه الآيات التي ذكرها المؤلف- رحمه الله - على إثبات العلو، كما دلَّت الآيات التي قبلها على إثبات استواء الله- تعالى - على العرش.

والفرق بين الاستواء والعلو :

١- أنَّ العلو مِنْ صفات الذَّات، والاستواء مِنْ صفات الأفعال. فعُلوُّ الله- سبحانه وتعالى - على خلقه وصفٌ لازمٌ لذاته، والاستواء فعلٌ من أفعاله - سبحانه - يفعله - سبحانه وتعالى - بمشيئته وقدرته إذا شاء، ولذا قال فيه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ﴾ وكان ذلك بعد خلق السَّموات والأرض.

٢- أنَّ العلو مِن الصفات الثابتة بالعقل والنقل. والاستواء ثابتٌ بالنقل لا بالعقل.

الفصل العشرون

إثبات معية الله ﷻ لخلقه

وقولـه تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الحديد: ٤]

وقوله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة: ٧].

وقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة :٤٠] .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[طه: ٤٦] .

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

وقوله :﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة:٢٤٩].

قولـه- تعـالى - : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾ أي : هـو معكـم بعلمـه، رقيـبٌ عليكم، شـهيدٌ عـلى أعمالكم ، حيث كنتم وأين كنتم؛ في بَرٍّ أو بَحرٍ في ليلٍ أو نهارٍ في البيوت أو القِفار، الجميع في علمه على السَّواء وتحت سَمْعِه وبصره. يسمع كلامكم ويرى مكانكم- سبحانه وتعالى -. وهذا محلُّ الشاهد من الآية الكريمة؛ ففيه إثبات المعيَّة العامة.

قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم.

وقوله- تعالى -: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ النجوى: السِّر. والمعنى: ما يوجد مِنْ تناجي ثلاثةٍ، ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ أي: جاعلهم أربعةً، وجاعلهم ستةً، من حيث إنه سبحانه يشاركهم في الاطِّلاع على تلك النجوى. وتخصيص هذين العددين بالذِّكر؛ لأن أغلب عادات المتناجِين أن يكونوا ثلاثةً أو خمسةً، أو أنَّ سبب النزول تناجي ثلاثةٍ في واقعةٍ، وخمسةٍ في واقعةٍ أخرى، وإلا فهو- سبحانه وتعالى - مع كلِّ عددٍ قَلَّ أو كَثُر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ أي: ولا أقلَّ مِنْ العدد المذكور: كالواحد والاثنين، ولا أكثر منه: كالستة والسبعة، إلا هو معهم بعلمه- سبحانه وتعالى -، يعلم ما يتناجون به، ولا يخفى عليه شيءٌ منه.

سبب نزول الآية :

قال المفسِّرون : إنَّ المنافقين واليهود كانوا يتناجون فيما بينهم، ويوهمون المؤمنين أنهم يتناجون فيما يسوؤهم، فيحزنون لذلك فلما طال ذلك وكَثُر، شَكَوا إلى رسول الله ﷺ، فأمرهم أن لا يتناجوا دون المسلمين، فلم ينتهوا عن ذلك وعادوا إلى مناجاتهم فأنزل الله- تعالى - هذه الآيات.

وقوله- تعالى -: ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾: معناه إحاطة علمه- سبحانه وتعالى- بكل تَنَاجٍ يقع منهم في أي مكان، ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم﴾ أي : يخبرهم- سبحانه وتعالى - ﴿بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي: ويجازيهم على ذلك، وفي هذا تهديدٌ لهم وتوبيخٌ، ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيءٌ.

والشاهد من الآية:

أنَّ فيها إثباتَ معيَّة الله- سبحانه وتعالى - لخلقه وهي: مَعيَّةٌ عامَّةٌ مقتضاها الإحاطة والعلم بجميع أعمالهم؛ ولهذا يقول الإمام أحمد- رحمه الله -: (افتتح الآية بالعِلم واختتمها بالعِلم).

وقوله- تعالى -: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ هذا خطابٌ من النبي ﷺ لصاحبه أبي بكر ﷺ حينما كانا في الغار وقت الهجرة، وقد لحق بهما المشركون ، فحزن أبوبكر ﷺ خوفاً على النبي ﷺ من

أذى الكفَّار. فقال له النبي ﷺ ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ أي: دع الحزن، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره وعونه وتأييده، ومَنْ كان الله معه فلن يُغْلَب، ومن لا يُغلَب لا يحقُّ له أن يحزن.

وقوله- تعالى - لموسى وهارون- عليهما السَّلام -: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ أي: لا تخافا مِنْ فرعون، ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ تعليلٌ للنهي؛ أي: معكما بالنصر لكما والمعونة على فرعون، ﴿أَسْمَعُ﴾ كلامكما وكلامه، ﴿وَأَرَىٰ﴾ مكانكما ومكانه، لا يخفى عليَّ مِنْ أمرِكُم شيءٌ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ أي: تركوا المحرَّمات والمعاصي على اختلاف أنواعها ﴿وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ بتأدية الطاعات والقيام بما أُمِروا به، فهو- سبحانه وتعالى - مع هؤلاء بتأييده ونصره ومعونته.

والشاهد من الآيات الكريمة:

(١) إثبات المعيَّة الخاصَّة في حقِّ الله- سبحانه وتعالى - لأوليائه بالنصر والتأييد.

(٢) إثبات السمع والبصر له سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا﴾: هذا أمرٌ بالصَّبر؛ وهو: حبس النفس، والمراد به هنا: الصَّبر على شدائد الحرب التي بين المسلمين وبين الكفَّار. ثم علَّل هذا الأمر بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فهو - سبحانه وتعالى - مع الصَّابرين في كلِّ أمرٍ ينبغي الصَّبر فيه.

والشاهد من الآية الكريمة:

أنَّ فيها إثباتَ معيَّة الله- سبحانه وتعالى - للصَّابرين على طاعته والمجاهدين في سبيله. قال الإمام الشوكاني- رحمه الله -: «ويا حبذا هذه المعيَّة التي لا يَغْلِب مَنْ رُزِقَها غالبٌ، ولا يُؤتَى صاحبُها مِنْ جهةٍ مِن الجهات وإن كانت كثيرةً» إ.هـ.

وقوله- تعالى-: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ الفئة: الجماعة والقِطعة منهم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بإرادته وقضائه ومشيئته.

قوله: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ هذا محلُّ الشَّاهد مِن الآية الكريمة؛ وهو: إثبات معيَّة الله- سبحانه وتعالى - للصَّابرين على الجهاد في سبيله، وهي: معيَّةٌ خاصَّةٌ مقتضاها النصر والتأييد.

ويستفاد من مجموع الآيات السابقة:

إثبات المعيَّة : ومعيَّتُه- سبحانه وتعالى -لا تنافي علوه على خلقه واستواءه على عرشه. فإنَّ قُرْبَه - سبحانه وتعالى- ومعيَّته ليست كقُرب المخلوق ومعيَّة المخلوق للمخلوق، فإنه- سبحانه-﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾؛ ولأنَّ المعيَّة مطلق المقارنة؛ لا تقتضي مماسَّةً ولا محاذاةً. تقول العرب: (مازلنا نمشي والقمر معنا)، مع أنه فوقهم والمسافة بينهم وبينه بعيدةٌ. فعُلوُّ الله- جَلَّ جلاله- ومعيَّتُه لخلقه لا تَنافيَ بينهما. وسيأتي لهذا مزِيدُ بيانٍ إن شاء الله تعالى.

والمعيَّة نوعان :

النوع الأول : معيَّةٌ عامَّةٌ؛ كما في الآيتين الأُوليين، ومقتضى هذه المعيَّة: إحاطتُه- سبحانه وتعالى- بخلقه وعِلمُه بأعمالهم؛ خيرِها وشرِّها ومجازاتُهم عليها.

النوع الثاني : معيَّةٌ خاصَّةٌ بعباده المؤمنين، ومقتضاها: النصرُ والتأييدُ والحفظُ. وهذا النوع تدلُّ عليه الآيات الخمس الباقية التي أوردها المؤلِّف رحمه الله.

الفصل الحادي والعشرون

إثبات الكلام لله ﷻ

وقوله- تعالى - :

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧].

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾[النساء: ١٢٢].

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[المائدة: ١١٦].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾[الأنعام:].

﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤].

﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾[البقرة: ٢٥٣].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[الأعراف: ١٤٣].

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾[مريم: ٥٢].

﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الشعراء:].

﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[الأعراف: ٢٢].

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[القصص: ٦٥].

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[التوبة: ٦].

﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٧٥].

﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾[الفتح: ١٥].

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾[الكهف:٢٧].

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾[النمل:٧٦].

قوله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾ أي: لا أحد أصدق منه سبحانه. فهو استفهامٌ إنكاريٌّ.

قوله: ﴿حَدِيثٗا ﴾ أي: في حديثِهِ وخَبَرِه وأمْرِه ووعْدِه ووعيدِه وقولِه.

وقوله تعالى : ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴾ القيل: مصدر قال – كالقول – أي: لا أحد أصدق قولاً مِن الله عز وجَلَّ.

الشاهد من الآيتين الكريمتين:

أنَّ فيهما إثباتَ الحديث والقيل لله– سبحانه وتعالى – ، ففيهما إثبات الكلام له سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى : ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾ أي: اذكر إذ قال الله–تعالى– ، ذهب جمهور المفسِّرين إلى أنَّ هذا القول منه سبحانه يكون يوم القيامة. وهو توبيخٌ للذين عبدوا المسيح وأُمَّه مِن النصارى.

والشاهد من الآية:

أنَّ فيها إثباتَ القول لله– سبحانه وتعالى – وأنه يقول إذا شاء.

وقوله: ﴿ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا ﴾ المراد بالكلمة : كلامه– سبحانه وتعالى –، أي: صِدقاً في أخباره – سبحانه –، عَدلاً في أحكامه. و﴿صِدۡقٗا وَعَدۡلٗا ﴾ منصوبان على التمييز.

وقوله : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ هذا تشريفٌ لموسى – عليه السَّلام – بأنَّ الله– سبحانه وتعالى – كلَّمه، أي: أسمعه كلامه؛ ولهذا يقال له: الكليم.

و﴿تَكۡلِيمٗا ﴾ مصدرٌ مؤكِّدٌ؛ لدفع كون التكليم مَجَازاً.

والشاهد من الآيتين:

أنَّ فيهما إثباتَ الكلام لله- سبحانه وتعالى -، وأنه كلَّم موسى عليه السَّلام.

وقوله- تعالى -: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي: مِنْ الرُّسل- عليهم الصَّلاة والسَّلام -، أي: أسمعه الله كلامه بلا واسطة؛ يعني: موسى ومحمداً - عليهما الصَّلاة والسَّلام - وكذا آدم. كما ورد به الحديث في صحيح ابن حبان.

وقوله- تعالى -: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا﴾ أي: حصل مجيؤه في الوقت الذي واعده الله- تعالى - فيه، ﴿وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ أي: أسمعه كلامه من غير واسطة.

والشاهد من الآيتين:

أنَّ فيهما إثباتَ الكلام لله- سبحانه وتعالى - وأنه يتكلم متى شاء - سبحانه - وأنه كلَّم موسى - عليه السَّلام - بلا واسطة ، وأنه كلَّم بعض الرُّسل.

وقوله تعالى : ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾ أي: نادى اللهُ تعالى موسى عليه السَّلام. والنداء هو: الصوت المرتفع.

قوله: ﴿مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ﴾: الطور: جبلٌ بين مصر ومَدْيَن. والأيمن : الجانب الأيمن من موسى- عليه السَّلام - حين ذهب يبتغي مِن النار التي رآها جذوةً، وليس المراد أيمن الجبل نفسه؛ فإنَّ الجبال لا يمين لها ولا شمال.

قوله: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ أي: أدنيناه حتى كلَّمْناه، ونجيّاً أي: مناجياً، والمناجاة ضِدُّ المناداة.

والشاهد من الآية:

أنَّ فيها إثباتَ الكلام لله- سبحانه وتعالى -. وأنه ينادي ويناجي، وهما نوعان من الكلام: فالمناداة: بصوتٍ مرتفعٍ. والمناجاة: بصوتٍ غير مرتفعٍ.

وقوله- تعالى -: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ أي: واتل أو اذكر ذلك. والنداء هو: الدعاء، و (أن) يجوز أن تكون مفسِّرةً، وأن تكون مصدريةً؛ أي: اذهب إلى القوم الظالمين. وَصَفَهم بالظلم؛ لأنهم جمعوا بين الكفر الذي ظلموا به أنفسهم، وبين المعاصي التي ظلموا بها غيرهم؛ كاستعبادِهم بني اسرائيل وذبحِ أبنائهم.

وقوله - تعالى -: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾ أي : نادى اللهُ - تعالى - آدمَ وحواء - عليهما السَّلام - قائلاً لهما: ألم أنهكما عن تلكما الشجرة ، أي: عن الأكل منها . وهذا عِتَابٌ من الله- تعالى - لهما وتوبيخٌ حيث لم يَحْذَرا ما حَذَّرهما منه.

الشاهد من الآيتين الكريمتين:

(١) إثبات الكلام لله- سبحانه وتعالى -، وأنه ينادي مَنْ شاء مِنْ عباده ويُسْمِعه كلامه.

(٢) إثبات الكلام لله- سبحانه وتعالى - والنداء منه لآدم وزوجته.

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ ﴾ أي: ينادي الله- سبحانه- هؤلاء المشركين يوم القيامة فيقول لهم: ﴿مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ أي: ما كان جوابكم لمن أُرسِل إليكم مِن النبيين لـمَّا بلَّغوكم رسالاتي.

وقوله تعالى : ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ الذين أُمِرتَ بقتالهم. ﴿ٱسْتَجَارَكَ ﴾ يا محمد؛ أي: طَلَبَ جوارك وحمايتك وأمانك . ﴿ فَأَجِرْهُ ﴾ أي: كُن له جارًا ومؤَمِّنًا. ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ منك ويتدبره ويقف على حقيقة ما تدعو إليه.

الشاهد من الآيتين الكريمتين:

(١) إثبات الكلام لله - سبحانه وتعالى -، وأنه ينادي يوم القيامة.

(٢) أنَّ الذي يُتلَى هو كلام الله سبحانه وتعالى.

وقوله- تعالى -: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾ أي: اليهود. والفريق: اسمُ جمعٍ لا واحد له مِنْ لفظِه، ﴿يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾ أي: التوراة، ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾ أي: يتأوَّلونه على غير تأويله، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا

﴿عَقَلُوهُ﴾ أي: فَهِموه . ومع هذا يخالفونه على بصيرةٍ ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مخطئون فيما ذهبوا إليه مِنْ تحريفه وتأويله.

الشاهد من الآية الكريمة:

(١) إثبات الكلام لله سبحانه وتعالى.

(٢) أنَّ التوراة من كلامه سبحانه وتعالى.

(٣) وأنَّ اليهود حرَّفوها وغيَّروا فيها وبدَّلوا.

وقولــه- تعــالى -: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾،

﴿يُرِيدُونَ﴾ أي: المُخَلَّفون من الأعراب، الذين اختاروا المقام في أهليهم وشُغْلِهم وتركوا المسير مع رسول الله ﷺ حين خرج عام الحديبية. ﴿أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ أي: يُغيِّروا كلام الله الذي وعد الله به أهل الحديبية خاصَّةً؛ بغنيمة خيبر.

قوله: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ هذا نفيٌ في معنى النهي؛ أي: لا تتبعونا.

قوله: ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ أي: وعَدَ الله أهل الحديبية أنَّ غنيمة خيبر لهم خاصَّةً.

الشاهد من الآية الكريمة:

(١) إثبات الكلام لله – سبحانه وتعالى –، وإثبات القول له.

(٢) أنَّ الله– سبحانه وتعالى – يتكلَّم، ويقول، متى شاء إذا شاء.

(٣) أنه لا يجوز تبديل كلامه– سبحانه وتعالى – بل يجب العمل به واتِّباعه.

وقوله– تعالى–: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ أمرٌ مِن الله–تعالى– لنبيه ﷺ أن يواظب على تلاوة الكتاب الموحَى إليه، والوحي هو: الإعلام بسرعةٍ وخفاءٍ . وله كيفيَّاتٌ مذكورةٌ في كتب أصول التفسير.

قوله : ﴿مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾ بيانٌ للذي أُوحِيَ إليه.

قوله : ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ أي: لا مغيِّر لها ولا محرِّف ولا مُزِيل.

وقوله- تعالى -: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وهم: حَمَلَة التوراة والإنجيل، ﴿أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ كاختلافهم في عيسى- عليه السَّلام -. فاليهود افترَوا في حقِّه، والنصارى غَلَوا فيه. فجاء القرآن بالقول الوسط الحقِّ: أنه عبدُالله ورسولُه وكلِمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه.

الشاهد من الآيتين الكريمتين:

(١) إثبات الكلمات لله سبحانه وتعالى .

(٢) إثبات أنَّ القرآن كلام الله- تعالى -؛ لِما تضمَّنه مِن الإحاطة بالكُتُب السَّابقة، والحُكم في الخلاف بين طوائف أهل الكتاب بالقِسط، وهذا لا يكون إلا مِنْ عند الله سبحانه وتعالى.

ويستفاد من مجموع الآيات التي ساقها المؤلِّف:

إثبات الكلام لله- سبحانه وتعالى -: فمذهب أهل السُّنة والجماعة: إثبات ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة؛ مِنْ أنَّ الله- تعالى - موصوفٌ بالكلام.

وكلامه - سبحانه - مِنْ صفاته الذَّاتية؛ لقيامه به واتِّصافه به، ومِنْ صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته وقدرته.

فيتكلم إذا شاء كيف شاء، بما يشاء، ولم يزل متكلِّماً ولا يزال متكلِّماً؛ لأنه لم يزل ولا يزال كاملاً، والكلام مِنْ صفات الكمال؛ ولأنَّ الله- سبحانه وتعالى - وَصَفَ به نفسه وَوَصَفَه به رسولُه ﷺ .

وسيأتي ذِكر مذهب المخالفين في هذه المسألة مع الردِّ عليه إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني والعشرون

إثبات تنزيل القرآن من الله ﷻ

وقوله- تعالى -: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقوله- تعالى -: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الحشر: ٢١].

وقوله- تعالى -: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [النحل: ١٠١-١٠٣].

مناسبة هذا الموضوع لما قبله :

لما أورد المؤلِّف - رحمه الله - الآيات الدالَّة على إثبات الكلام لله- تعالى - وأنَّ القرآن العظيم مِنْ كلامه - سبحانه - شَرَعَ في سياق الآيات الدالَّة على أنَّ القرآن مُنَزَّلٌ مِنْ عند الله.

فقوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ ﴾ الإشارة إلى القرآن الكريم. واسم الإشارة: مبتدأٌ، خبره (كتاب).

قوله : ﴿ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ صفتان لكتاب. وقَدَّم صفة الإنزال؛ لأن الكفَّار يُنكِرونها. والمبارك: كثير البركة، لِما هو مشتمِلٌ عليه من المنافع الدينية والدنيوية.

وقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾.

معنى الآية إجمالاً :

هذا إخبارٌ عن عظمة القرآن ، وأنه حقيقٌ بأن تخشع له القلوب، فإنه لو أُنزل على جبلٍ مع كونه في غاية القسوة وشدة الصَّلابة – لو فَهِمَ هذا القرآن – لخشع وتصدَّع مِنْ خوف الله حذرًا مِنْ عقابه، فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع؟! وقد فهمتم عن الله أمره وتدبَّرتم كتابه.

وقوله– تعالى –: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ﴾ **هذا شُروعٌ منه – سبحانه وتعالى – في ذِكْر شُبَهٍ كُفرِيَّةٍ حول القرآن الكريم مع الردِّ عليها.**

ومعنى التبديل: رفع الشيء مع وضع غيره مكانه، وتبديل الآية: رفعها بأخرى غيرها؛ وهو: نَسْخُها بآيةٍ سِواها.

الشبهة الأولى : ﴿قَالُوٓاْ﴾ أي: كفَّار قريشٍ الجاهلون للحِكمة في النسخ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ﴾ يا محمد ﴿مُفۡتَرِۭۚ﴾ أي: كاذبٌ مختلِقٌ متقوِّلٌ على الله؛ حيث تزعم أنه أَمَرَكَ بشيءٍ ثم تزعم أنه أَمَرَكَ بخلافه، فردَّ الله– سبحانه وتعالى – عليهم بما يفيد جهلَهم؛ فقال:

﴿ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ أي: لا يعلمون شيئاً مِن العِلم أصلاً، أو لا يعلمون الحِكمة في النسخ؛ فإنه مبنيٌّ على المصالح التي يعلمها الله– سبحانه وتعالى –. فقد يكون في شَرْعِ هذا الشيء مصلحةٌ مُؤقَّتةٌ بوقتٍ ثم تكون المصلحة بعد ذلك الوقت في شَرْعِ غيرِه. ولو انكشف الغطاء لهؤلاء الكَفَرَة لعلموا أنَّ ذلك وجهُ الصَّواب، ومنهج العدل والرِّفق واللُّطف.

ثم ردَّ عليهم في زعمهم أنَّ هذا التبديل مِنْ عند محمدٍ، وأنه بذلك مفترٍ على الله، فقال سبحانه: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ ﴾أي القرآن. ﴿ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ ﴾ أي: جبريل. والقُدُس: الطُهر، والمعنى : نزَّله الروح المطهَّر، فهو من إضافة الموصوف إلى صفته.

قوله: ﴿مِن رَّبِّكَ﴾ أي: ابتداء تنزيله مِنْ عند الله- سبحانه وتعالى -، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ في محل نصبٍ على الحال أي: متَّصِفاً بكونه حقّاً.

قوله : ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ على الإيمان؛ فيقولون: كلٌّ مِن الناسخ والمنسوخ مِنْ عند ربِّنا؛ ولأنهم إذا عرفوا ما في النسخ من المصالح ثبتوا على الإيمان.

قوله: ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ معطوفان على محل ﴿لِيُثَبِّتَ﴾. أي: تثبيتاً لهم وهدايةً وبُشرَى.

الشبهة الثانية: ثم ذكر- سبحانه وتعالى - شبهةً أخرى مِنْ شُبَهِهِم، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ أي: ولقد نعلم أنَّ هؤلاء الكفَّار يقولون: إنما يُعلِّم محمداً القرآن بَشَرٌ مِنْ بني آدم وليس مَلَكاً مِن الملائكة. وهذا البَشَر الذي يُعَلِّمه كان قد دَرَسَ التوراة والإنجيل والكُتُب الأعجمية؛ لأنَّ محمداً رجلٌ أميٌّ لا يمكن أن يأتي بما ذُكِر في القرآن مِنْ أخبار القرون الأولى.

فردَّ الله - تعالى - عليهم بقوله : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ أي: لسان الذي يميلون إليه ويزعمون أنه يعلمك يا محمد: أعجميٌّ - أي: غير عربيٍّ - فهو لا يتكلَّم العربية . ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ أي: وهذا القرآن ذو بلاغةٍ عربيةٍ وبيانٍ واضحٍ. فكيف تزعمون أنَّ بَشَراً مِن العجم يُعَلِّم النبي ﷺ وقد عجزتم أنتم عن معارضته أو معارضة سُورةٍ أو سُوَرٍ منه وأنتم أهل اللسان العربي ورجال الفصاحة وقادة البلاغة.

ما يستفاد من الآيات :

(١) إثبات أنَّ القرآن منزَّلٌ مِنْ عند الله سبحانه وتعالى.

(٢) وأنه كلامه- جَلَّ وعَلا - لا كلام غيره مِن الملائكة أو البَشَر.

(٣) والردُّ على مَنْ زعم أنه كلام مخلوق.

(٤) إثبات العلو لله- سبحانه وتعالى - ؛ لأن الإنزال لا يكون إلا مِنْ أعلى. والله أعلم.

الفصل الثالث والعشرون

إثبات رؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة

وقوله-تعالى -: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢، ٢٣].

وقوله-تعالى -: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين:٣٥].

وقوله-تعالى -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وقوله-تعالى -: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

وهذا الباب في كتاب الله كثيرٌ، ومَنْ تدبَّر القرآن طالباً للهدَى تبيَّن له طريقُ الحقِّ.

قوله- تعالى -: ﴿وُجُوهٌ﴾ أي: وجوه المؤمنين.

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم القيامة.

قوله: ﴿نَّاضِرَةٌ﴾: بالضَّاد من النَّضَارة؛ وهي: البهاء والحُسن؛ أي: ناعمةٌ غَضَّةٌ حسنةٌ مضيئةٌ مشرقةٌ.

قوله : ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ أي: خالقها.

قوله: ﴿نَاظِرَةٌ﴾ أي: تنظر إليه بأبصارها؛ كما تواترت به الأحاديث الصحيحة، وأجمع عليه الصحابة والتابعون وسلف الأمة، واتفق عليه أئمة الإسلام.

وقوله- تعالى -: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾: جمع أريكة؛ وهي: السُّرُر.

قوله : ﴿يَنظُرُونَ﴾: إلى الله- عز وجل -. وأما الكفَّار فقد تقدَّم في الآيات التي قبل هذه الآية أنهم ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ .

وقوله- تعالى -: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالقيام بما أوجبه الله - سبحانه وتعالى - عليهم من الأعمال، والكَفِّ عما نهاهم عنه من المعاصي، ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ أي: المثوبة الحُسْنَى، وقيل: الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي:

النظر إلى وجه الله الكريم؛ كما ثبت تفسيرها بذلك عن رسول الله ﷺ في صحيح مسلمٍ وغيره، وكما فسَّرها بذلك سلف هذه الأمة.

وقوله- تعالى -: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾ أي: للمؤمنين في الجنة ما تشتهي أنفسهم، وتلذُّ أعينهم؛ من فنون النَّعيم وأنواع الخير، ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ أي: زيادةٌ على ذلك؛ وهو النظر إلى وجه الله الكريم .

الشاهد من الآيات الكريمة:

(١) إثبات رؤية المؤمنين لربهم- عز وجَلَّ - يوم القيامة.

(٢) إثبات النظر إلى وجه الله الكريم في الجنة.

ويستفاد من الآيات الكريمة :

(١) إثبات رؤية المؤمنين لربهم- عزَّ وجَلَّ - يوم القيامة.

(٢) وأنها أعظم النعيم الذي ينالونه. وهذا هو قول الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين. خلافاً للرافضة والجهمية والمعتزلة؛ الذين ينفون الرؤية ويخالفون بذلك: الكِتاب والسُّنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها. ويعتمدون على شُبَهٍ واهيةٍ وتعليلاتٍ باطلةٍ؛ منها:

أ - قولهم: إنَّ إثبات الرؤية يلزم منه إثبات أنَّ الله- سبحانه وتعالى - في جهةٍ، ولو كان في جهةٍ لكان جِسماً، والله مُنزَّهٌ عن ذلك.

والجواب عن هذه الشبهة أن نقول: لفظ الجهة فيه إجمالٌ، فإن أُريدَ بالجهة أنه حالٌّ في شيءٍ من مخلوقاته فهذا باطلٌ والأدلَّة تردُّه، وهذا لا يلزم من إثبات الرؤية.

وإن أُريدَ بالجهة أنه- سبحانه وتعالى - فوق مخلوقاته فهذا ثابتٌ لله- سبحانه وتعالى- ونفيُه باطلٌ، وهو لا يتنافى مع رؤيته سبحانه وتعالى .

ب - استدلُّوا بقوله- تعالى – لموسى- عليه السَّلام -: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾.

والجواب عن هذا الاستدلال: أنَّ الآية الكريمة واردةٌ في نفي الرؤية في الدنيا، ولا تنفي ثبوتها في الآخرة؛ كما ثبت في الأدلَّة الأخرى. وحالة الناس في الآخرة تختلف عن حالتهم في الدنيا.

ج - استدلوا بقوله- تعالى -: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

والجواب عن هذا الاستدلال: أنَّ الآية إنَّما فيها نفي الإدراك وليس فيها نفي الرؤية. والإدراك معناه : الإحاطة، فالله سبحانه وتعالى يراه المؤمنون ولا يحيطون به - بل نفي الإدراك يلزم منه وجود الرؤية – فالآية مِنْ أدلَّة إثبات الرؤية، والله تعالى أعلم.

وقول المؤلِّف - رحمه الله -: **(وهذا الباب في كتاب الله كثيرٌ)** أي: باب إثبات أسماء الله وصفاته في القرآن كثيرٌ - وإنما ذكر المؤلِّف بعضه -؛ فقد ورد في آياتٍ كثيرةٍ من كتاب الله إثباتُ أسماء الله وصفاته على ما يليق به.

وقوله: **(ومَنْ تدبَّر القرآن... إلخ)** يعني أنَّ مَنْ تَفكَّر في القرآن وتأمَّل ما يدلُّ عليه مِن الهُدَى، اتَّضح له سبيلُ الصَّواب. وتدبُّر القرآن هو المطلوب مِنْ تلاوته، قال – تعالى -: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص٢٩].

وقال- سبحانه -: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال- جلَّ ذِكرُه -: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

أسئلة

س١ - استدِل على صفات الله الآتية بدليلٍ مِن القرآن الكريم: (علو الله تعالى، تنزيل القرآن، رؤية المؤمنين لربهم- جَلَّ وعَلا - يوم القيامة).

س٢ - ما الفرق بين الاستواء والعلو.

س٣ - ما سبب نزول قوله تعالى :﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ ؟

س٤ - قال الله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ وقال: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. ما الفرق بين المعيَّة في الآيتين؟

س٥ - معيَّة الله- تبارك وتعالى - لا تُنافي علوه على خلقه واستواءه على عرشه، وضِّح ذلك .

س٦ - هل صفة الكلام ذاتيَّة أم فعليَّة؟ وضِّح ذلك.

س٧ - قال الله- تعالى -:﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ .....﴾ الآية.

اذكر صفتين لله- تبارك وتعالى - تستفيدهما من هذه الآية.

س٨ - كيف تردُّ على مَن استدَلَّ بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ على نفي الرؤية؟

س٩ - بيِّن الصَّواب والخطأ في العبارات التالية:

أ - الطُّور : جبلٌ بين مَدْيَن ومصر. ( ) .

ب - تدبُّر القرآن: تجويده وترتيله. ( ) .

ج - الأرائك : السُّرُر. ( ) .

د - المناجاة : الصوت المرتفع. ( ) .

هـ - مفترٍ: لا يُحسن العربية. ( ) .

و - روح القُدُس : عيسى عليه السَّلام. ( ) .

الباب الثاني

الاستدلال على إثبات أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وصفاته مِن السُّنَّة

تمهيد : منزلة السُّنة من القرآن

قال رحمه الله- تعالى -:

فصلٌ

ثم في سُنَّة رسول الله ﷺ ، فالسُّنة تُفَسِّر القرآن، وتبيِّنه، وتدلُّ عليه، وتعبِّر عنه، وما وَصَفَ الرسولُ به ربَّه - عزَّ وجَلَّ - من الأحاديث الصِّحاح التي تلقَّاها أهلُ المعرفة بالقبول: وجب الإيمان بها كذلك.

قوله : (ثم في سُنَّة رسول الله ﷺ) هذا عطفٌ على قوله فيما سبق:**(وقد دخل في هذه الجملة ما وَصَفَ الله به نفسه في سورة الإخلاص.. إلخ)**. أي: ودخل فيها ما وَصَفَ به الرسول ﷺ ربه فيما وردت به السُّنة الصحيحة؛ لأنَّ السُّنة هي الأصل الثاني الذي يجب الرجوع إليه بعد كتاب الله- عزَّ وجَلَّ - قال الله- تعالى -: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[النساء ٥٩] .

والردُّ إلى الله هو: الرجوع إلى كتابه، والردُّ إلى رسول الله ﷺ بعد وفاته هو: الرجوع إلى سُنَّته.

والسُّنة لغةً : الطريقة. **واصطلاحاً هي** : ما ورد عن رسول الله ﷺ من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ.

مكانة السُّنة :

١- قول المؤلف: **(فالسُّنة تفسِّر القرآن)** أي: تُبيِّن معانيه ومقاصده؛ فإنَّ النبي ﷺ يُبيِّن للناس ما أُنزِلَ إليه؛ قال الله- تعالى -: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[النحل: ٤٤] .

٢- **(تُبيِّن القرآن)** أي: توضِّح مُجمَلَه ؛ كالصَّلاة والصَّوم والحج والزكاة، وغالب الأحكام التي تأتي مُجمَلةً في القرآن تُبيِّنها السُّنة النبوية.

٣- **(تدلُّ على القرآن وتُعبِّر عنه)** أي: تدلُّ على ما دلَّ عليه القرآن وتعبِّر عمَّا عبَّر عنه القرآن. فتكون موافقةً للقرآن، فيكون الحُكم مما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة ؛ كأسماء الله تعالى وصفاته.

قوله : (وما وَصَفَ) إلى قوله: **(تلقَّاها أهل المعرفة بالقبول)**: مبتدأٌ، خبره قوله: **(وجب الإيمان بها كذلك)** أي: كما يجب الإيمان بما وصف الله- سبحانه وتعالى - به نفسه في القرآن الكريم ؛ لأن النبي ﷺ كما وصفه ربه بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤] .

فالسُّنة التي نطق بها الرسول ﷺ وَحْيٌ مِن الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [النساء:١١٣] .

فالكتاب هو: القرآن . **والحِكمة هي:** السُّنة . فيجب الإيمان بما وَرَدَ في السُّنة، لا سِيَّما في باب الاعتقاد؛ قال- تعالى -: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[الحشر: ٧] .

لكن لابُدَّ في قبول الحديث والإيمان به مِنْ ثبوته عن النبي ﷺ، ولهذا قال الشيخ- رحمه الله- : **(من الأحاديث الصِّحاح)**، والصِّحاح: جمع صحيح . **والحديث الصحيح هو:** ما نقله راوٍ عدلٌ تامُّ الضبطِ عن مِثلِه مِنْ غير شذوذٍ ولا عِلَّةٍ . فهو ما اجتمع فيه **خمسة شروط:**

١ ـ عدالةُ الرُّواة.

٢ ـ ضَبْطُهم.

٣ ـ اتصالُ السَّنَد.

٤ ـ سلامتُه مِن العِلَّة.

٥ ـ سلامتُه مِن الشُّذوذ.

وقوله : (تلقَّاها أهل المعرفة) أي: قَبِلَها وأخذ بها أهل العلم بالحديث فلا عِبرة بغيرهم.

ثم ذكر الشيخ- رحمه الله - أمثلةً مما ورد في السُّنَّة مِنْ صفات الله- عزَّ وجَلَّ - فقال:

الفصل الأول

ثبوت النزول الإلهي إلى سماء الدنيا على ما يليق بجلال الله ﷻ

فمِنْ ذلك: مِثل قوله ﷺ : "ينزل ربُنا إلى سماء الدنيا كلَّ ليلة حين يبقى ثلثُ الليل الآخِر ؛ فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيبَ له، مَنْ يسألني فأعطيه، مَنْ يستغفرني فأغفر له" . متفقٌ عليه .

قوله : (ينزل ربُنا) أي: نزولاً يليق بجلاله، نؤمن به ولا نشبِّهه بنزول المخلوق؛ لأنه سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

قوله: (إلى سماء الدنيا) أي: السَّماء الدنيا، مِنْ إضافة الموصوف إلى صفته.

قوله: (حين يبقى ثلثُ الليل الآخِرُ) برفع (الآخِر)صفةً لـ(ثلث)، وفي هذا تعيينٌ لوقت النزول الإلهي.

قوله : (فأستجيبَ له): بالنصب على جواب الاستفهام. وكذا قوله: (فأعطيَه) و (أغفرَ له) .

وقوله : (فأستجيبَ له) أي: أجيب دعوته.

والشاهد من الحديث:

أنَّ فيه ثبوتَ النزول الإلهي، وهو مِنْ صفات الأفعال.

ما يستفاد من الحديث:

(١) إثبات العلو لله- سبحانه وتعالى - ؛ فإنَّ النزول يكون مِن العلو.

(٢) الردُّ على مَنْ أوَّل الحديث بأنَّ معناه: نزول رحمته أو أمرِه؛ لأنَّ الأصلَ الحقيقةُ وعدمُ الحذف؛ ولأنه قال: (مَنْ يدعوني فأستجيبَ له) . فهل يُعقل أن تقول رحمتُه أو أمرُه هذا المقال؟!

(٣) إثبات الكلام لله- سبحانه وتعالى -، حيث جاء فيه (فيقول... إلخ) .

(٤) إثبات الإعطاء والإجابة والمغفرة لله- سبحانه وتعالى - وهي صفات أفعال.

وقوله : (متفقٌ عليه) أي: بين البخاري ومسلم.

الفصل الثاني

إثبات أنَّ الله ﷻ يفرح ويضحك

وقوله ﷺ: " للهُ أشدُّ فَرَحاً بتوبة عبده مِنْ أحدكم براحلته . . . " الحديث . متفقٌ عليه .

وقوله ﷺ: " يضحك الله إلى رَجُلَين يَقْتُلُ أحدُهما الآخر، كِلاهُما يدخل الجنة " متفقٌ عليه .

قوله ﷺ: (للهُ أشدُّ فرحاً): (اللام) لام الابتداء. **"أشدُّ فَرَحاً"** منصوبٌ على التمييز، والفرح في اللغة: السُّرُور ولذة القلب.

قوله ﷺ: (بتوبة عبده). التوبة هي: الإقلاع عن الذنب والرجوع إلى الطاعة. **(براحلته)** الراحلة: الناقة التي تَصلُح أن تُرْحَلَ . **(الحديث)** منصوبٌ بفعلٍ مقدَّرٍ ؛ أي: أكمِل الحديث ؛ لأن المصنِّف – رحمه الله – اقتصر على الشاهد منه؛ وهو:

إثبات الفرح لله– سبحانه وتعالى – على ما يليق بجلاله. وهو صفة كمالٍ لا يُشبِهُهُ فرح أحدٍ مِنْ خلقه، بل هو كسائر صفاته. وهو فَرَحُ إحسانٍ وبِرٍّ ولُطْفٍ لا فرحَ محتاجٍ إلى توبة عبده ينتفع بها ؛ فإنه – سبحانه وتعالى – لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضرُّه معصية العاصي.

وقوله ﷺ: **(يضحك الله إلى رَجُلَين... إلخ)** . قد بيَّن النبي ﷺ في آخر الحديث سبب ذلك في قوله ﷺ: **(يقاتِل هذا في سبيل الله عزَّ وجَلَّ فيُستشهَد ، ثم يتوب الله على القاتل فيُسلِم، فيقاتِل في سبيل الله عزَّ وجَلَّ فيُستشهَد)**. وهذا مِنْ كمال إحسان الله– سبحانه– وسعة رحمته، فإنَّ المسلم يقاتِل في سبيل الله فيقتله الكافر فيُكرِمُ اللهُ المسلِمَ بالشَّهادة، ثم يَمُنُّ اللهُ على ذلك الكافر القاتل فيهديه للإسلام فيدخلان الجنة جميعاً ، فهذا أمرٌ عجيبٌ. والضحك يكون مِن الأمور المعجِبة التي تخرج عن نظائرها.

والشاهد من الحديث:

إثبات الضحك لله– سبحانه وتعالى –، وهو صفةٌ مِنْ صفاته الفعلية التي نُثبتها له على ما يليق بجلاله وعظمته، ليس كضحك المخلوق.

الفصل الثالث

إثبات أنَّ الله ﷻ يَعجب ، ويَضحك

وقوله ﷺ "عَجِبَ ربُّنا مِنْ قُنوط عباده وقُربِ غِيَرِه، ينظر إليكم أزْلين قَنِطِين فيَظلُّ يَضحك يعلم أنَّ فَرَجكم قريبٌ" حديثٌ حسنٌ. [رواه أحمد وغيره] .

قوله ﷺ: (عَجِبَ ربُّنا) قال في المصباح: التعجُّب يُستعمل على وجهين:

الأول : ما يحمده الفاعل، ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به.

والثاني: ما يكرهه، ومعناه الإنكار والذَّم له.

قوله : (من قُنوط عباده) القُنوط: شدة اليأس مِن الشيء. والمراد هنا: اليأس مِنْ نزول المطر وزوال القحط.

قوله : (وقُربِ غِيَرِه) (غيره) بكسر (الغين) وفتح (الياء)، أي: تغييره الحال مِنْ شِدَّةٍ إلى رَخاءٍ.

قوله : (ينظر إليكم أزْلين) الأزل بسكون (الزاي): الضِّيق . وقد أزَلَ الرجل يأزِل أزْلاً صار في ضيقٍ وجدبٍ.

قوله : (فيَظلُّ يَضحك) هذا مِنْ صفاته الفعلية التي لا يشبهه فيها شيءٌ مِنْ مخلوقاته.

ما يستفاد من الحديث :

(١) إثبات صفتين مِنْ صفات الله- سبحانه وتعالى – الفعلية، هما: العَجَب والضَّحِك، وهما صفتان تليقان بجلاله، ليستا كعَجَب المخلوق وضَحِك المخلوق.

(٢) إثبات النظر لله- سبحانه وتعالى -، وهو مِنْ صفاته الفعلية أيضاً، فإنه ينظر إلى عباده ولا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السَّماء.

الفصل الرابع

إثبات الرِّجل والقَدَم لله سبحانه وتعالى

وقوله ﷺ: "لا تزال جهنم يُلقَى فيها وهي تقول: هل مِنْ مَزِيد؟ حتى يضع ربُّ العِزَّة فيها رِجلَه". وفي رواية: "عليها قدمه ـ فينزوي بعضها إلى بعض ـ فتقول قَطْ قَطْ". متفقٌ عليه.

قوله: ﷺ: **(لا تزال جهنم)** (جهنم): اسمٌ مِنْ أسماء النار، قيل: سُمِّيَت بذلك؛ لبُعد قعرها ؛ وقيل: لظُلمتها ؛ مِن الجهومة وهي: الظُّلْمة.

قوله : **(يُلقَى فيها)** أي: يُطرَح فيها أهلُها.

قوله : **(وهي تقول هل مِنْ مَزِيد؟)** أي: تطلب الزيادة؛ لِسَعَتِها وقد وعدها الله أن يملأها.

قوله : **(حتى يضع ربُّ العِزَّة فيها رِجلَه)**: لما كانت النـــار في غاية الكِبَر والسَّعة وقد وعـدها اللـه- سبحانه وتعالى - ملأهـــا - وكان مقتضَـى رحمته - سبحـانـــه وتعـالى - أن لا يعـذِّب أحـداً بغير جُرمٍ - حقَّق وَعْدَه ووضع عليها رِجلَه.

قوله : **(فينزوي بعضها إلى بعض)** أي: يَنْضَمُّ بعضها إلى بعض، ويتلاقى طرفاهـا، ولا يبقى فيها فضلٌ عن أهلها.

قوله : **(فتقول قَطْ قَطْ)** أي: حسبي ويكفيني.

والشاهد من الحديث:

أنَّ فيه إثباتَ الرِّجْل والقَـدَم لله - سبحانه وتعالى - عـلى الوجـــه اللائـق بـه- سبحـــانه -، وهو مِنْ صفـات الـــذَّات ؛ كالوجه واليد . والله تعالى أعلم.

وقد غلِط في تفسير هذا الحديث: المعطِّلة؛ حيث قالوا: **(قَدَمُه)** نوعٌ مِن الخلق. وقالوا : **(رِجلَه)** جماعةٌ من الناس؛ كما يقال: رِجْلُ جَراد .

والردُّ على هذا أن يقال: إنَّ النبي ﷺ قال: **(حتى يضع)** ولم يقل: حتى يُلقِي كما قال في أوَّل الحديث: **(يُلقَى فيها)**، وأيضاً القَدَم لا يصح تفسيره بالقوم لا حقيقةً ولا مجازاً.

الفصل الخامس

إثبات النِّداء ، والصوت، والكلام لله ﷻ

وقوله ﷺ : (يقول الله- تعالى -: يا آدم، فيقول: لبَّيك وسعديك، فينادي بصوتٍ: إنَّ الله يأمرك أن تُخرِج من ذُرِّيتك بعثاً إلى النار) متفقٌ عليه.

وقوله ﷺ : (ما منكم مِنْ أحدٍ إلا سَيُكلِّمُه ربه وليس بينه وبينه تُرجُمان) [رواه البخاري ومسلم].

قوله: (لبَّيك وسعديك) (لبَّيك) أي: أنا مقيمٌ على طاعتك، مِنْ ألَبَ بالمكان إذا أقام، وهو منصوبٌ على المصدر، وثُنِّيَ للتأكيد. و(سعديك): مِنْ المساعدة؛ وهي: المطاوعة؛ أي: مساعدة في طاعتك بعد مساعدة.

قوله : (بصوتٍ) تأكيدٌ لقوله : **(ينادي)**؛ لأنَّ النِّداء لا يكون إلا بصوتٍ، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤] .

قوله : (بَعثاً إلى النار) (البعث هنا بمعنى: المبعوث الموجَّه إليها. ومعنى ذلك: مَيِّز أهل النار مِنْ غيرهم.

والشاهد من الحديث:

أنَّ فيه إثباتَ القولِ مِن الله- سبحانه وتعالى - والنداءِ بصوتٍ يُسْمَع، وأنَّ ذلك سيحصل يوم القيامة ، ففيه: أنَّ الله يقول وينادي متى شاء وكما يشاء.

وقوله ﷺ : **(ما منكم مِنْ أحدٍ)** الخطاب للصحابة وهو عامٌّ لجميع المؤمنين، **(إلا سَيُكَلِّمه ربُّه)** أي: بلا واسطة، والخطاب للصحابة، وهو عامٌّ لجميع المؤمنين، **(ليس بينه وبينه تُرجُمان)**. الترجمان مَنْ يُعَبِّر بِلُغةٍ عن لغةٍ، أي: ينقل الكلام مِنْ لغةٍ إلى لغةٍ أخرى.

ما يستفاد من الحديث :

(١) إثبات تكليم الله - سبحانه وتعالى - لعباده.

(٢) وأنه - سبحانه وتعالى - يتكلم إذا شاء. فكلامه مِنْ صفاته الفعلية.

(٣) وأنه – سبحانه وتعالى - يُكلِّم كلَّ مؤمنٍ يوم القيامة.

الفصل السادس

إثبات عُلُوِّ الله ﷻ على خلقه ، واستوائه على عرشه

وقوله ﷺ في رُقْية المريض: (ربُّنا الله الذي في السَّماء، تَقَدَّس اسمُك، أمرُك في السَّماء والأرض، كما رحمتُك في السَّماء، اجعل رحمتَك في الأرض، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا، أنت ربُّ الطَّيبين، أنزِل رحمةً مِنْ رحمتك، وشِفاءً مِنْ شِفائك على هذا الوجع، فيبرأ) حديثٌ حسنٌ، رواه أبو داود وغيره.

وقوله ﷺ : (ألا تأمنوني وأنا أمينُ مَنْ في السَّماء)؟ حديثٌ صحيحٌ .

وقوله ﷺ : (والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش؛ وهو يعلم ما أنتم عليه) حديثٌ حسنٌ رواه أبو داود وغيره.

وقوله ﷺ للجارية: (أين الله)؟ قالت: في السَّماء. قال: (من أنا)؟ قالت: أنت رسول الله. قال: (أعتِقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم.

قوله : (في رقية المريض) أي: القراءة على المريض طلباً لشفائه.

وهي مشروعةٌ إذا كانت بالقرآن والأدعية المباحة. وممنوعةٌ إذا كانت بألفاظٍ شِركيَّةٍ أو أعمالٍ شِركيَّةٍ.

قوله ﷺ: (ربُّنا الله الذي في السَّماء) أي: على السَّماء - إذا أُريدَ بالسَّماء: السَّماء المبنية -، فـ (في) هنا بمعنى: على؛ كقوله تعالى : ﴿فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٢] أي: على الأرض، ويجوز أن تكون (في) للظرفية على بابها. ويكون المراد بالسَّماء: مُطْلَق العُلو.

قوله : (تَقَدَّس اسمُك) أي: تقدَّست أسماؤك عن كلِّ نقصٍ، فهو مفردٌ مضافٌ؛ فيَعُمُّ جميعَ أسماء الله سبحانه وتعالى .

قوله : (أمرُك في السَّماء والأرض) أي: أمرُك الكوني القدَري الذي ينشأ عنه جميع المخلوقات والحوادث؛ ومنه قوله- تعالى -: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس: ٨٢] .

وأمرُك الشَّرعي المتضمِّن للشرائع التي شرعتها لعبادك.

قوله : (كما رحمتُك في السَّماء اجعل رحمتَك في الأرض) هذا تَوَسُّلٌ إليه برحمته التي شملت أهل السَّموات كلَّهم أن يجعل لأهل الأرض منها نصيباً.

قوله : **(اغفر لنا حُوبنا وخطايانا)** هذا طلبٌ للمغفرة؛ وهي: السِّتر ووقاية الإثم. ومنه: المِغْفَر؛ الذي يُلبَس على الرأس؛ لِستره ووقايته مِن الضَّرب، **(والحُوب)**: الإثم . **(والخطايا)** هي: الذنوب.

قوله : (أنت ربُّ الطَّيبين): هذا توسُّلٌ آخر. و(الطَّيبين) جمع طَيِّبٍ؛ وهم: النبيُّون وأتباعهم ، وإضافة ربوبيته لهؤلاء إضافة تشريفٍ وتكريمٍ، وإلا فهو- سبحانه وتعالى - ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكُه.

قوله : **(أنزِل رحمةً مِنْ رحمتك)** أي: الرحمة المخلوقة. فإنَّ **رحمة الله نوعان**:

النوع الأول: رحمته التي هي صفة من صفاته؛ كما في قوله- تعالى -:﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ﴾ [الأعراف، آية: ١٥٦].

النوع الثاني: رحمةٌ تُضاف إليه- سبحانه وتعالى -، مِنْ إضافةِ المخلوق إلى خالقه؛ كالمذكورة في هذا الحديث. وكما في حديث: **(خَلَقَ اللهُ مائة رحمة...)** الحديث. رواه مسلم والترمذي، فطلب ﷺ من ربِّه إنزال هذه الرحمة على المريض، لحاجته إليها، ليشفيه بها.

ما يستفاد من الحديث :

(١) إثبات العلو لله- سبحانه وتعالى -، وأنه في السَّماء. والعُلو صفةٌ ذاتيَّةٌ كما سبق.

(٢) التوسُّل إلى الله- تعالى- بالثَّناء عليه بربوبيته وإلهيَّته وقُدسِيَّته وعُلوِّه وعمومِ أمرِه وبرحمتِه.

(٣) طلب المغفرة مِن الله - سبحانه وتعالى - وشفاءِ المرض.

قوله ﷺ: (ألا تأمنوني) هذا خطـــابٌ منـــه ﷺ لمن اعترض عليه في بـــعض قسمته المال .

و**(ألا)**: أداة استفتاحٍ وتنبيهٍ. **(وتأمنوني)** مِن الأمانة. وهي : عدم المحاباة والخيانة، أي: ألا تـأمنوني في قسمة المال، **(وأنا أمينُ مَنْ في السَّماء)** وهو الله- سبحانه وتعالى - ، قد ائتمنني على وَحْيِه ورسالته وتبليغ شرعِهِ. وكفى بذلك شهادةً على أمانته وصِدقه ﷺ.

قوله: (حديثٌ صحيحٌ) . أي: رواه الشيخان.

والشاهد من الحديث:

أنَّ فيه إثباتَ العلو لله- سبحانه وتعالى- حيث قال: **(مَنْ في السَّماء)** وسبق شرح الجملة قريباً.

قولـه : (والعـرش فـوق ذلـك) أي: فـوق المخلوقـات التـي بيَّنهـا الرسـول ﷺ لأصـحابه في الحديث الذي ذكر فيه بُعْدَ ما بين السَّماء والأرض، وما بين كل سَماءٍ وسَماءٍ، وكثف كلِّ سَماءٍ، والبحر الذي فوق السَّماء السَّابعة، وما بين أسفله وأعلاه، وما فوق ذلك البحر مِن الأوعال الثمانية العظيمة، ثم فوق ذلك العرش، **(والله فوق العرش)** أي: مستوٍ عليه استواءً يليق بجلاله، **(وهو يعلم ما أنتم عليه)**: بعلمه المحيط الذي لا يخفى عليه شيءٌ.

ما يستفاد من الحديث :

(١) إثبات علو الله – سبحانه وتعالى - على عرشه، وأنَّ عرشه فوق المخلوقات كلِّها.

(٢) أنَّ عِلْمَ الله- سبحانه وتعالى - محيطٌ بأعمال العباد؛ لا يخفى عليه منها شيءٌ .

قول المصنِّف- رحمه الله -: (وقوله للجارية) أي: أمَةَ معاوية بن الحكم ﷺ حينما غَضِبَ عليها سيِّدُها معاوية فلطمها ثم نَدِمَ وأخبر رسول الله ﷺ وقال: أفلا أُعتقُها؟ فقال النبي ﷺ : **(بلى، جئني بها)** فأتَى بها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال لها: **(أين الله)**؟ قالت: في السَّماء. أي: الله-سبحانه وتعالى- في السَّماء. فيه دليلٌ على جواز السؤال عن الله بـ (أين).

(قال) لها النبي ﷺ أيضاً: **(مَنْ أنا)**؟ سألها عن اعتقادها فيه. قالت: أنت رسول الله. فأقرَّت له بالرسالة. قال ﷺ لسيِّدها: **(أعتقها فإنها مؤمنة)** فيه دليلٌ على أنَّ مَنْ شَهِدَ هذه الشَّهادة أنه مؤمنٌ. وأنَّ العتق يُشترط له الإيمان.

ما يستفاد من الحديث :

(١) إثبات علو الله – سبحانه وتعالى – على خلقه فوق سماواته.

(٢) وأنه يُشار إلى الله– جَلَّ وعَلا– في جهة العلو إشارةً حِسِّيةً.

الفصل السابع

إثبات معيَّة الله ﷻ لخلقه، وأنها لا تنافي عُلوَّه فوق عرشه

وقوله ﷺ: (أفضل الإيمان أن تعلم أنَّ الله معك أينما كنت) حديثٌ حسنٌ، أخرجه الطبراني من حديث عبادة بن الصامت.

وقوله ﷺ: (إذا قام أحدُكم إلى الصَّلاة فلا يبصُق قِبَلَ وجهه؛ فإنَّ الله قِبَلَ وجهه، ولا عن يمينه، ولكن عن يساره أو تحت قدمه) متفقٌ عليه.

وقوله ﷺ: (اللهم ربَّ السَّمواتِ السَّبْعِ وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحَبِّ والنَّوَى، مُنْزِلَ التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أعوذ بك مِنْ شَرِّ نفسي، ومِنْ شَرِّ كلِّ دابَّةٍ أنت آخذٌ بناصيتها. أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلك شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بَعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقك شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليسَ دونك شيءٌ، اقضِ عَنِّي الدَّين وأغنني من الفقر) رواه مسلم.

وقوله ﷺ: لما رَفَعَ الصحابةُ أصواتَهم بالذِّكر: (أيها الناس اربَعُوا على أنفُسِكم؛ فإنكم لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غائباً إنما تَدْعُونَ سميعًا بصيرًا قريبًا. إنَّ الذي تَدْعُونَه أقربُ إلى أحَدِكُم مِنْ عُنُقِ راحِلَتِه) متفقٌ عليه.

قوله ﷺ: (أفضَلُ الإيمان) أي: مِنْ أفضَلِ خِصَالِه. وفي هذا دليلٌ على أنَّ الإيمان يتفاضل.

قوله: (أن تَعلَمَ أنَّ اللهَ معَك) أي: بِعلْمِه واطِّلاعِه.

قوله: (أينما كنتَ) أي: في أيِّ مكان وُجِدْتَ. فمن عَلِمَ ذلك: استوت علانيتُه وسريرتُه؛ فهابه في كلِّ مكانٍ.

قوله: (أخرجه الطبراني) هو: أبو القاسم سليمان اللخْمي- رحمه الله - أحدُ الحفَّاظ المكثرين. وقد رَوَى هذا الحديث في المعجم الكبير.

والشاهد من الحديث:

إثباتُ معيَّة الله – سبحانه وتعالى - لخلقه بعلمه وإحاطته بأعمالهم، وأنه يجب على العبد أن يتذكر ذلك دائما فيُحسن عمله .

قوله: ﷺ: (إذا قام أحدكم إلى الصَّلاة) أي: إذا شَرَعَ فيها.

قوله : (فلا يبصُق) أي: لا يتفل.

قوله: (قِبَلَ وجهه) أي: أمامه. **(قِبَلَ)** بكسر (القاف) وفتح (الباء).

قوله : (فإنَّ الله قِبَلَ وجهه) هذا تعليلٌ للنهي عن البُصاق في قِبْلَةِ المصَلِّي؛ بأنَّ الله- سبحانه وتعالى - **(قِبَلَ وجهه)** أي: مُوَاجِهُهُ. وهذه المواجهة كما يليق بالله - سبحانه وتعالى - لا يلزم منها أنه – سبحانه - مختلِطٌ بخلقه، بل هو فوق سَمَاواتِه مستوٍ على عرشه وهو قريبٌ مِنْ خلقه محيطٌ بهم.

قوله : (ولا عن يمينه) أي: ولا يبصُق المصَلِّي عن يمينه تشريفاً لليمين؛ ولأنَّ الملَك عن يمينه كما في روايةٍ للبخاري.

قوله: (ولكن عن يساره أو تحت قدمه) أي: ولكن ليبصُق المصَلِّي في جهة يساره، أو يبصُق تحت قدمه.

والشاهد من الحديث:

أنَّ فيه إثباتَ قُرْبِ الله- سبحانه وتعالى - مِنْ عبده المصَلِّي وإقباله عليه، وهو- سبحانه - فوقه.

قوله ﷺ : (اللهم) أصله: يا الله، فـ (الميم) عِوضٌ عن (ياء) النِّداء.

قوله: (ربَّ السَّمواتِ السَّبْعِ) أي: خالقُها ومالكُها.

قوله: (وربَّ العرش العظيم) أي: الكبير الذي لا يَقْدِرُ قَدْرَهُ إلا الله- سبحانه وتعالى -، فهو أعظم المخلوقات. وتَقَدَّم تفسير: (العرش).

قوله : (ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ) أي: خالقُنا ورازقُنا وخالقُ كلِّ شيءٍ ومالكُه. ففيه إثبات ربوبيته لكلِّ شيءٍ.

قوله : (فالقَ الحَبِّ والنَّوَى). أي: شاقَّ حَبِّ الطعام ونَوَى التمر؛ للإنبات.

قوله : (مُنْزِلَ التوراةِ): على موسى. **(والإنجيلِ)** على عيسى. **(والقرآنِ)** على محمدٍ عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام.

وفي ذلك دليلٌ على فضلِ هذه الكُتُب، وأنها منزَّلةٌ من الله تعالى.

قوله : (أعوذ) أي: ألتجيء وأعتصم **(بك)** يا الله **(مِنْ شَرِّ كلِّ دابَّةٍ)** أي: كلِّ ما دبَّ على وجه الأرض.

قوله: (أنت آخذٌ بناصيتها): الناصية: مقدَّم الرأس. أي: هي تحت قهرك وسلطانك تُصَرِّفُها كيف تشاء لِتَصْرِفَ شَرَّها عَنِّي.

قوله: (أنتَ الأوَّلُ فليسَ قبلك شيءٌ، وأنتَ الآخِرُ فليسَ بَعدَكَ شيءٌ، وأنتَ الظاهرُ فليسَ فوقك شيءٌ، وأنتَ الباطنُ فليسَ دونك شيءٌ): هذه الأسماء الأربعة: اسمان لأزليته وأبديته وهما : **(الأوَّلُ والآخِرُ)**. واسمان لِعُلوِّه وقُربِه وهما: **(الظاهرُ والباطنُ)**.

قوله ﷺ : (اقضِ عَنِّي الدَّين) أي: أدِّ عَنِّي حقوقَ الله- سبحانه -، وحقوقَ الخلق . وفي هذا: التبرِّي مِن الحول والقوَّة.

قوله : (وأغنني مِن الفقر) الفقر: الحاجة. والفقير هو: مَنْ لا يجد شيئاً أو يجد بعض الكفاية.

والشاهد من الحديث:

إثبات علو الله-تعالى- وقُربِه، وأنهما لا يتنافيان ولا يتناقضان؛ فهو قريبٌ في عُلوِّه وعَليٌّ في دُنوِّه.

ويستفاد من الحديث :

مشروعية التوسُّل إلى الله- سبحانه وتعالى - بأسمائه وصفاته في قضاء الحاجة وإجابة الدُّعاء.

وقوله : (لما رفع الصحابةُ أصواتَهم بالذِّكر) وذلك في غزوة خيبر؛ كما جاء في بعض طرق الحديث، وأنَّ الذِّكر الذي رفعوا به أصواتهم هو التكبير : (الله أكبر لا إله إلا الله).

قوله ﷺ: (اربعوا) أي: ارفقوا.

قوله : (فإنكم): تعليلٌ للأمر بالرِّفق. **(لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غائباً)** لا يسمع دعاءكم ولا يراكم. فنفَى الآفةَ المانعةَ مِنَ السَّمعِ، والآفةَ المانعةَ مِنَ النَّظرِ، وأثبت ضدَّهما؛ فقال: **(إنما تَدْعُونَ سَميعًا بصيراً)** فلا داعي لرفع الصوت.

قوله: (إنَّ الذي تَدْعُونَه أقربُ إلى أحدِكم مِنْ عُنُقِ راحِلَتِه) فهو قريبٌ ممن دعاه وذَكَرَه. فلا حاجة لرفع الأصوات وهو قريبٌ يسمعها إذا خفضت كما يسمعها إذا رفعت.

والشاهد من الحديث:

أنَّ فيه إثباتَ قُربِ الله- سبحانه - مِنْ داعيهِ؛ يسمع الأصوات الخفية كما يسمع الأصوات الجهرية.

ما يستفاد من الأحاديث جميعاً :

(١) إثباتُ معيَّة الله- سبحانه وتعالى - لخلقه وقُرْبِه- سبحانه - منهم.

(٢) سماعه لأصواتهم ورؤيته لحركاتهم، وذلك لا يُنافي علوَّه واستواءَه على عرشه سبحانه وتعالى.

وقد تقدَّم الكلام على المعيَّة وأنواعها وشواهدها مِن القرآن الكريم مع تفسير تلك الشواهد.

والله أعلم.

الفصل الثامن

إثبات رؤية المؤمنين لربهم ﷻ يوم القيامة

وقوله ﷺ: (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته . فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبل طلوع الشَّمس، وصلاةٍ قبل غروبها فافعلوا) متفقٌ عليه .

قوله ﷺ (إنكم سترون ربكم) الخطاب للمؤمنين، و(السين) للتنفيس، ويُراد بها: التأكيد.

قوله : (ترون ربكم) أي: تعاينونه بأبصاركم (كما ترون القمر ليلة البدر) أي: ليلة كمالِه؛ وهي الليلة الرابعة عشرة مِن الشهر؛ فإنه في تلك الليلة يكون قد امتلأ نورًا. والمراد من هذا التشبيه: تحقيق الرؤية وتأكيدها ونفي المجاز عنها. وهو تشبيهٌ للرؤية بالرؤية لا تشبيهٌ للمرئي بالمرئي؛ لأنه سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾.

قوله ﷺ (لا تضامون في رؤيته) بضم (التاء) وتخفيف (الميم) أي: لا يلحقكم ضَيْمٌ، أي: ظُلمٌ، بحيث يراه بعضكم دون بعض. وروي بفتح (التاء) وتشديد (الميم). من التَضَامِّ، أي: لا يَنْضَمُّ بعضكم إلى بعض لأجل رؤيته، والمعنى على هذه الرواية: لا تجتمعون في مكان واحد؛ لرؤيته فيحصل بينكم الزحام. والمعنى على الروايتين: أنكم ترونه رؤيةً محقَّقةً، كلٌّ منكم يراه وهو في مكانه.

والأحاديث الواردة بإثبات رؤية المؤمنين لربهم متواترةٌ.

قوله ﷺ: (فإن استطعتم أن لا تُغلَبوا) أي: لا تصيروا مغلوبين (على صلاةٍ قبل طلوع الشَّمس) وهي: صلاة الفجر، (وصلاةٍ قبل غروبها) وهي : صلاة العصر، (فافعلوا) أي: حافظوا على هاتين الصلاتين في الجماعة في أوقاتها.

وخص هاتين الصلاتين؛ لاجتماع الملائكة فيهما، فهما أفضل الصلوات. فناسب أن يجازي من حافظ عليهما بأفضل العطايا وهو النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى.

والشاهد من الحديث:

أنَّ فيه إثباتَ رؤية المؤمنين لربهم- سبحانه وتعالى - عياناً يوم القيامة. وقد تقدَّم ذِكرُ مَنْ خالف في ذلك مع الردِّ عليه عند الكلام على تفسير الآيات التي فيها إثبات الرؤية، والله أعلم.

أسئلة

س ١ - املأ الفراغ بالكلمات المناسبة فيما يأتي :

(أ) السُّنة..... القرآن وتبيِّنه و ..... عليه و..... عنه.

(ب) يُشترط لقبول الحديث في باب الاعتقاد: الصِّحة. فالحديث الصحيح هو ما نقله راوٍ ..... ، تامُّ ..... عن مثله مِنْ غير ..... ولا .....

(ج) قال ﷺ: (عَجِبَ ربنا مِنْ ..... عباده وقُرْبِ ..... ينظر إليكم .....قنطين فيظلُّ ..... يعلم أنَّ فرَجَكُم قريبٌ).

(د) قال ﷺ: (لا تزال جهنم يُلقَى فيها وهي تقول: هل مِنْ مَزِيد؟ حتى يضع ربُّ العِزَّة فيها ..... فينزوي بعضها إلى بعض فتقول: .....

(هـ) قال ﷺ: (أفضل الإيمان أن تعلم أنَّ الله .....).

س٢- للرقية الجائزة (٣ شروط، ٤ شروط، ٥ شروط). (اختر الإجابة الصحيحة) .

س٣- اذكر معاني المفردات الآتية : (قنوط، غِيَرِه، قَطْ قَطْ، ربُّ الطَّيبين، لا تضامون) .

س٤- ما الفرق بين الصفات الذَّاتيَّة والفعليَّة؟ ومِنْ أيِّ الأنواع الصفاتُ الآتية: (العلم، الضحك، السمع، النزول، الغضب، الكلام)؟

س٥- ما المراد بتشبيه رؤية المؤمنين لربهم- سبحانه وتعالى - يوم القيامة بالقمر ؟

س٦- ما أثر معرفة الصفات الآتية لله- تبارك وتعالى - على المسلم: [نزول الله إلى سماء الدنيا في ثلث الليل الآخر، فَرَحُه بتوبة عبده، رؤية المؤمنين له يوم القيامة] ؟

س٧- ذَكَرَ النبي ﷺ عملاً مِنْ أسباب استحقاق العبد لرؤية الله- سبحانه وتعالى - يوم القيامة، فما هذا العمل؟

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
توزيع المقرر	١٣
شرح البسملة	١٥
خطبة الافتتاح	١٦
أهل السُّنة والجماعة	١٩
أركان الإيمان	٢١
الإيمان بصفات الله	٢٣
موقف أهل السُّنة والجماعة من الإيمان بصفات الله	٢٥
الباب الأول: الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته من القرآن الكريم	٣٣
الفصل الأول – الجمع بين النفي والإثبات في وصفه تعالى	٣٥
الفصل الثاني – الجمع بين علوه وقربه وأزليته وأبديته	٤١
الفصل الثالث – إحاطة علمه بجميع مخلوقاته	٤٣
الفصل الرابع – إثبات السمع والبصر لله سبحانه وتعالى	٤٧
الفصل الخامس – إثبات المشيئة والإرادة لله سبحانه وتعالى	٤٩
الفصل السادس – إثبات محبة الله ومودته لأوليائه	٥٣
الفصل السابع – إثبات اتِّصافه بالرحمة والمغفرة سبحانه وتعالى	٥٧
الفصل الثامن – ذِكر رضا الله وغضبه وسخطه وكراهيته في القرآن الكريم وأنه متَّصفٌ بذلك	٦١
الفصل التاسع – ذِكر مجيء الله سبحانه لفصل القضاء بين عباده على ما يليق بجلاله	٦٧
الفصل العاشر – إثبات الوجه لله سبحانه وتعالى	٦٩
الفصل الحادي عشر – إثبات اليدين لله تعالى	٧١
الفصل الثاني عشر – إثبات العينين لله تعالى	٧٣
الفصل الثالث عشر – إثبات السمع والبصر لله تعالى	٧٥
الفصل الرابع عشر – إثبات المكر والكيد لله تعالى على ما يليق به	٧٩
الفصل الخامس عشر – وصف الله بالعفو والمغفرة والرحمة والعِزَّة والقُدرة	٨١
الفصل السادس عشر – إثبات الاسم لله ونفي المثل عنه	٨٣
الفصل السابع عشر – نفي الشريك عن الله تعالى	٨٥

الموضوع	الصفحة
الفصل الثامن عشر – إثبات استواء الله على عرشه	٩١
الفصل التاسع عشر – إثبات علو الله على مخلوقاته	٩٥
الفصل العشرون – إثبات معيَّة الله لخلقه	٩٩
الفصل الحادي والعشرون – إثبات الكلام لله تعالى	٩٩
الفصل الثاني والعشرون – إثبات تنـــزيل القرآن من الله تعالى	١٠٩
الفصل الثالث والعشرون – إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة	١١٣
الباب الثاني :الاستدلال على إثبات أسماء الله وصفاته مِن السُّنة	١١٧
تمهيد منـــزلة السُّنة مِن القرآن	١١٩
الفصل الأول – ثبوت النـــزول الإلهي إلى سماء الدنيا على ما يليق بجلال الله	١٢١
الفصل الثاني – إثبات أنَّ الله يَفرَح ويَضحَك	١٢٣
الفصل الثالث – إثبات أنَّ الله يَعجَب ويَضحَك	١٢٥
الفصل الرابع – إثبات الرِّجل والقَدَم لله سبحانه	١٢٧
الفصل الخامس – إثبات النِّداء والصوت والكلام لله تعالى	١٢٩
الفصل السادس – إثبات علو الله على خلقه واستوائه على عرشه	١٣١
الفصل السابع – إثبات معيَّة الله تعالى لخلقه وأنها لا تنافي علوه فوق عرشه	١٣٥
الفصل الثامن – إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة	١٣٩
فهرس الموضوعات	١٤٣